الجامعة المستنصرية

كلية التربية الاساسية

قسم التاريخ

محاضرات في تاريخ البلاد العربية الحديث

١٥١٦ – ١٩١٤

اعداد الدكتور

ماجد حمدان الموسوي

٢٠١٩– ٢٠٢٠

المبحث الاول : اوضاع البلاد العربية قبل السيطرة العثمانية .

اولاً: اوضاع مصر وبلاد الشام قبل السيطرة العثمانية

تعاقبت على حكم مصر وبلاد الشام العديد من الدول منها الدولة الفاطمية(٩٠٩-١١٧١)م [١]، ثم الايوبيين بعدها في عام (١٢٥٠م) حكم المماليك[٢]، وهؤلاء المماليك قسمين الاول: حكم من ١٢٥٠ – ١٣٨٢م ويسمى

---

[١] الفاطميون يرجعون بنسبهم إلى مُحمَّد بن إسماعيل بن جعفر الصَّادق، استطاع مؤسس الدولة الفاطمية عبيد الله المهدي بالله من تأسيس دولته في بلاد المغرب العربي حين بنا عاصمة دولته التي اسماها المهدية عام ٩١٢- ٩١٣ م، بعد ان نشروا دعوتهم بأسم الامام المهدي. استطاع الفاطميون من السيطرة على مصر عام ٩٦٩م وبنوا مدينة القاهرة وجعلوها عاصمة لدولتهم ثم سيطروا على بلاد الشام عام ٩٧٣م . سقطت دولتهم على يد صلاح الدين الايوبي عام ١١٧١م . للتفاصيل ينظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي افريقية ومصر وبلاد الشام ٢٧٩ – ٥٦٧ هـ / ٩١٠ – ١١٧١ م، ط٢، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٧.

[٢] المماليك : وهم عبيد تم جلبهم من شمال اسيا من قبل الدولة الايوبية في مصر. وقد عملوا كجنود مرتزقة لديهم وبعد ان اصبحوا قوة عسكرية. اسقطوا الايوبيين

وسيطروا على الحكم في مصر ثم في بلاد الشام عام ١٢٠٥م . وهم نوعين الاول سمي ب (المماليك البحرية) حكموا مصر وبلاد الشام من (١٢٥٠م حتى ١٣٨٢م) ثم جاء بعدهم المماليك البرجية (او الشراكسة) حكموا في مصر وبلاد الشام والحجاز من ١٣٨٢حتى ١٥١٧م. سقطت دولتهم على يد العثمانيين عام

بـ(المماليك البحرية) حيث كانت ثكناتهم العسكرية على البحر ولم تكن في المدن، ثم جاء بعدهم المماليك البرجية وسموا بذلك لأنهم كانوا يسكنون ابراج عسكرية تم بنائها لهم وكذلك يطلق عليهم (الشراكسة) لأن اغلبهم من العنصر الشركسي القادم من بلاد اليونان ليحكموا (مصر وبلاد الشام والحجاز) من عام ١٣٨٢م بعد ان سيطروا على الحكم بإبعاد المماليك البحرية عن الحكم واستمروا في السلطة حتى عام ١٥١٧م .

لقد كانت اوضاع دولة المماليك (مصر وبلاد الشام) في عقودها الاخيرة سيئة للغاية. فمن الناحية السياسية كان السلاطين المماليك قد عملوا على الاغتيالات والنهب والتآمر فقد كانت الاوضاع السياسية متدهورة نتيجة ضعف الحكام والبعض يصل الى السلطة صغير السن مما يؤدي الى سيطرة الحاشية عليه وكذلك تبدل السلاطين بأستمرار نتيجة القتل والصراعات على السلطة فيما بين المماليك وكان اغلبهم منحلين اخلاقياً. وكذلك كان الامراء والولاة والاداريين والقضاة. ومن الناحية الاقتصادية فقد تدهورت اوضاع دولة المماليك بسبب احتكار السلاطين للتجارة، وكذلك بسبب اكتشاف طريق جديد للتجارة سمي(طريق رأس الرجاء الصالح) لا يمر بمصر وبلاد الشام ثم العراق والخليج العربي والبحر الاحمر بل يأتي من اوربا ثم الى جنوب افريقيا ومنها الى الخليج العربي . وهذا الاكتشاف تم من قبل البرتغال وهو ما أثر سلباً على التجارة وبذلك فقدت دولة المماليك مورداً مالياً مهماً. كذلك تم احتلال الموانئ العربية من قبل البرتغاليين . كل ذلك اثر سلباً على الاوضاع في مصر وبلاد الشام.

١٥١٦ في بلاد الشام وعام ١٥١٧ في مصر. ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، بيروت، د.ت، ص٢٤١-٢٦٩ .

ثانياً : اوضاع العراق قبل السيطرة العثمانية

عانى العراق بعد سقوط الدولة العباسية على يد المغول بقيادة هولاكو عام ١٢٥٨م من التدهور السياسي والاقتصادي. فبعد احتلالهم للعراق اصبح العراق جزءاً من امبراطورية المغول وقد حكموا العراق من ١٢٥٨م حتى ١٣٢٨م . ثم جاء بعدهم الجلائريون بقيادة حسن الجلائري وهم فرع من المغول حكموا العراق من ١٣٢٨م حتى ١٤١٠م. وبعد ضعف وانقسام الامراء الجلائريين جاءت القبائل التركمانية وهما قبيلتين الاق قوينلو- والقرة قوينلو(الخروف الاسود والخروف الابيض) لتحكم العراق من ١٤١٠م حتى ١٥٠٨. بعدهم جاء الشاه اسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية وشاه بلاد فارس (١٥٠٢- ١٥٢٤) ليسيطر على العراق عام ١٥٠٨. وبقي العراق بيد الصفويين حتى عام ١٥٣٤م .

ثالثاً : احوال الجزيرة العربية قبل السيطرة العثمانية

أ/ الحجاز: نقصد بالحجاز (مكة المكرمة – المدينة المنورة – مدينة جدة) وقد كانت تابعة بعد ضعف الدولة العباسية الى الدولة الفاطمية، بعدها سيطر عليها الايوبيين، وبعد مجيء المماليك الى حكم مصر وبلاد الشام عام ١٢٥٠ م، سيطروا على الحجاز وجعلوا عليها حكاماً من (اشراف مكة) وهم عائلة (محمد ابو نمي) وهؤلاء اصبحوا يديرون شؤون مكة والمدينة المنورة وجدة طيلة فترة حكم المماليك .

ب / احوال اليمن قبل السيطرة العثمانية

كانت اليمن تابعة للدولة الفاطمية في القرن العاشر الميلادي ثم سيطر عليها الايوبيين في عام (١١٧٣م) وجعلوا ادارة اليمن من مسؤولية اشراف مكة، وحتى في عهد المماليك، واستمر اشراف مكة يديرون شؤون اليمن حتى عام (١٤٤٦م) ليسيطر عليها الزيديين بعدها، الذين استمروا في حكم اليمن الشمالي فقط اما الوسط والجنوب فكان بيد المماليك، وذلك حتى مجيء العثمانيين .

رابعاً: اوضاع المغرب العربي قبل السيطرة العثمانية

خضع المغرب العربي (ليبيا – مراكش المغرب حالياً، والجزائر ، وتونس) الى سيطرة العديد من القوى المحلية مثل الموحدون والمرابطون والادارسة والسعديين والعلويين في المغرب (مراكش) والحفصيون في تونس وليبيا. وبسبب الانقسامات والضعف تعرضت بلاد المغرب العربي الى الاحتلال البرتغالي والاسباني .

فالغزو البرتغالي طال مدن المغرب، ففي عام ١٤١٥م قام ملك البرتغال خوان الاول بحملة عسكرية احتل بها مدينة سبتة المغربية وسيطر على الطرق التجارية . وبعده قام ابنة الملك ادوارد عام ١٤٣٧م بالهجوم على مدينة طنجة المغربية إلا انه فشل في احتلالها. وفي عام ١٤٥٣م عاود الهجوم على طنجة الملك البرتغالي الفونسوا الخامس إلا انه فشل ايضاً في احتلالها. وقد عانى المغرب العربي خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي من ظاهرتي (عدم الاستقرار السياسي) و (الانقسام الداخلي) بسبب الصراع على السلطة بين الادارسة والوطاسيين الذين تقاسموا السلطة في المغرب.

وقد امتاز الغزو البرتغالي بخصائص هي ١- سيطرة الطابع العسكري ٢- الاكتفاء بأحتلال المدن الساحلية في المغرب العربي .

خامساً: الغزو البرتغالي للخليج العربي والبحر الاحمر أو (اوضاع الخليج العربي قبل السيطرة العثمانية) :-

في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وتحديداً عام (١٤٩٨م) اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح على اثر الرحلة التي قام بها الرحالة فاسكو دي غاما في العام ذاته، وهذا الطريق يمر جنوب افريقيا ووصولاً الى الخليج العربي والبحر الاحمر. وبعد هذا تم ارسال الحملات العسكرية لأحتلال موانئ الخليج العربي والبحر الاحمر بقيادة القائد البرتغالي (البوكيرك)، الذي استطاع عام ١٥٠٧ من احتلال العديد من الموانئ المهمة في الخليج العربي ابرزها هرمز و وجلفار (إمارة رأس الخيمة في دولة الإمارات العربية المتحدة) وخصب، بالإضافة إلى المدن الساحلية الواقعة بين رأس الحدّ وشبه جزيرة مسندم، وتشمل موانئ صور، وقريات، ومسقط، ومطرح، وسيب، وصحار، وخور فكان، ودبا، وليما. وقد وقف المماليك ضد هذا الغزو إلا انهم تعرضوا لهزيمة امام الاسطول البرتغالي ووصل الخطر البرتغالي الى محاولتهم احتلال مكة المكرمة إلا ان تعاون المماليك والعثمانيون حا ل دون ذلك.

كان وصول البرتغاليين إلى المنطقة نقطة تحوّل في تاريخ المحيط الهندي والخليج العربي لأكثر من سبب ؛ فقد سعوا خلال النصف الأوّل من القرن السادس عشر، إلى تثبيت سيادتهم التنفيذية في المحيط الهندي بإبعاد التجّار المسلمين، كما فرضوا بوجود سفنهم البحرية المسلّحة نظام شراء تصاريح المرور البحرية على سفن التجّار المسلمين غير المسلّحة. لقد حدّد تحوّل التجارة الشرقية من أيدي عرب الخليج، الذين كانوا لقرون عديدة بارعين في التجارة البحرية وخوض البحار، بداية الانحدار الاقتصادي في المنطقة. وعلى الصعيد الأوروبي تمكّن البرتغاليون من

تحويل تجارة التوابل من المراكز التجارية الرئيسة التقليدية في الإسكندرية والبندقية إلى ليشبونة لتوزيعها في سائر أنحاء أوروبا

سادساً: الغزو الاسباني للجزائر وليبيا وتونس :-

اتخذ الغزو الاسباني لبلدان المغرب العربي طابعاً دينياً صليبياً وذلك بسبب مباركة الكنيسة الكاثوليكية في روما لهذا الغزو. بدأ الغزو الاسباني لبلدان المغرب عام ١٤٦٣م عندما احتلوا مرفأ عنابة الجزائري. ثم عام ١٥٠٥م احتلوا مدينة المرسي الكبير غرب الجزائر. وفي عام ١٥٠٩ احتلوا مدينة وهران. وبعد الجزائر تقدمت قواتهم فأحتلت مدينة طرابلس الليبية عام ١٥١٠م . وفي عام ١٥٣٥م قاد ملك اسبانيا (شارلمان) حملة كبرى لأحتلال تونس وبعد مقاومة عنيفة تمكن من احتلالها وفرض شارلمان على سلطان تونس (الحسن بن محمد الحفصي) معاهدة مهينة نصت على : ١- اعتراف تونس بتبعيتها لأسبانيا . ٢- والتزام سلطان تونس وتعهده بعدم إدخال اي عربي مهاجر من الاندلس.

المبحث الثاني : السيطرة العثمانية للبلاد العربية في عهد السلطان سليم الاول

اولاً: اسباب ضم العثمانيين للبلاد العربية (اسباب الحرب العثمانية _ المملوكية)

١- : **الاسباب الدينية** :_وهي على قسمين :

أ / محاولة العثمانيون توحيد البلاد الاسلامية تحت رايتهم حيث اعتبروا انهم حماة الدين لاسيما بعد اسقاطهم وسيطرتهم على مدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣م وقد بدأ هذا الشعور لديهم يبرز منذ ذلك الوقت

ب / للسيطرة على الاماكن المقدسة في البلاد العربية مثل مكة – المدينة – القدس – العراق.

٢: **الاسباب السياسية : وهي عديدة يمكن اختصارها بـ :**

أ / ظهور الدولة الصفوية في بلاد فارس عام (١٥٠٠م) بزعامة الشاه اسماعيل الصفوي ، ومجاورتها للدولة العثمانية . ومحاولة كلا الدولتين التوسع على حساب الاراضي العربية المجاورة .

ب / تعاون المماليك مع الصفويين أثناء حرب الدولة العثمانية مع الدولة الصفوية عام ١٥١٤.

ج / ظهور الخطر البرتغالي على منطقة الخليج العربي والبحر الاحمر والمغرب واستغلال ذلك الخطر لصالح الدولة العثمانية حتى تبرز كأنها الحامي الوحيد للبلاد العربية .

د / محاولة العثمانيون بناء امبراطورية واسعة تضم الى جانب الاناضول البلاد العربية وبعض الولايات الاوربية.

٣-: **الاسباب الاقتصادية** :_وتشمل وفرة خيرات البلاد العربية ومحاولة العثمانيين السيطرة عليها وكذلك على الموانئ العربية التجارية .

٤- : **اسباب شخصية:** وهي هروب الامراء العثمانيين من أخوة السلطان سليم الاول خوفاً من القتل ولجوئهم الى المماليك في القاهرة . وذلك بعد الانقلاب الذي قام به سليم الاول ضد ابيه واستلامه السلطة، ولخوفه من المنافسة على العرش حاول سليم قتل اخوته مما دعاهم الى الهروب الى القاهرة وبعد مطالبة سليم من المماليك تسليم اخوته اليه، رفض السلطان المملوكي تسليمهم اليه مما اعتبره سليم الاول خطوة عدائية ضده.

٥- : **السبب المباشر للحرب:** هو احتلال السلطان سليم الاول لأمارة ذي القدر التركمانية الواقعة على الحدود العثمانية السورية. عام ١٥١٥ م وهي امارة تابعة لدولة المماليك.

ثانياً : السيطرة العثمانية على بلاد الشام (١٥١٦) م

بعد احتلال سليم الاول[١] سلطان الدولة العثمانية إمارة ذي القدر التركمانية التابعة لدولة المماليك في أواخر عام ١٥١٥ م ، أدرك المماليك ان الحرب قائمة لا محالة مع العثمانيين، فكانت السبب المباشر لقيام الحرب . وهو ما أراده السلطان سليم الاول فقاد جيشه حتى وصل الى سهل مرج دابق قرب حلب في سوريا في آب

[١] سليم الاول : وهو سلطان الدولة العثمانية تولى الحكم عام ١٥١٢م بعد انقلاب ضد ابيه ومن اهم اعماله (القتال ضد الدولة الصفوية وهزيمتهم عام ١٥١٤ في معركة جالديران، والسيطرة على بلاد الشام عام ١٥١٦ بعد قتال المماليك والسيطرة على مصر ١٥١٧. والسيطرة على الحجاز عام ١٥١٧. توفي عام ١٥٢٠) .

عام ١٥١٦م . وفي المقابل قاد سلطان المماليك (قانصوة الغوري)[١] جيشه . فتقابل الجيش العثماني والمملوكي في معركة (مرج دابق) في ٢٤ / أب / ١٥١٦ . وانهزم جيش المماليك وقتل السلطان المملوكي(قانصوة الغوري) في المعركة . وكان لهذه الهزيمة اسباب اهمها : (عدم التكافؤ بين الجيش العثماني والمملوكي في العدة والتنظيم . وخيانة بعض قادة المماليك للسلطان وهم (خايربك) [٢]، نائب حلب ، وجان بردي الغزالي[٣]، (نائب حماه) ومن تبعهم من أمراء المقاطعات اللبنانية وهم

---

[١] السلطان قانصوة الغوري: وهو سلطان دولة المماليك حكم عام (١٥٠٠ وحتى عام ١٥١٦) قاد المماليك في حربه ضد الدولة العثمانية وهزم عام ١٥١٦ في معركة مرج دابق وقتل في المعركة .

[٢] الأمير خاير بك الچركسي أحد أمراء المماليك الچراكسة، وهو آخر وال مملوكي في حلب. ولد خاير بك لأب يدعى ملباى الچركسي من أصل أبخازى، وكانت بدايته عندما قدمه أبوه إلى السلطان الأشرف قايتباى فتدرج في المناصب الحربية حتى وصل إلى رتبة حاجب الحجاب في عهد السلطان قانصوه الغوري الذي عينه بعد ذلك نائبا له في حلب عام ١٥٠٤م وبقي في منصبه حتى عام ١٥١٦م . للتفاصيل عن خيانة خاير بك ينظر: جمال الغيطاني، ملامح القاهرة في الف سنة، دار نهضة مصر للطباعة ، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٦٥-١٧٥.

[٣] جان بردي الغزالي سلافي الأصل من كُرواتيا لم يُعرف له تاريخٌ لميلاده ، كان قد وقع في أسر العثمانيين في عهد السلطان بايزيد الثاني والد السلطان سليم الأول عند فتح منطقة البلُقان (الروملي). ثم أُرسل ضمن مجموعة من الأسرى هديةً إلى السلطان المملوكي الأشرف قايتباي في القاهرة الذي أعتقه حتى وصل إلى درجة الأمارة في عهد السلطان قانصوه الغوري وطومان باي. وأخذ في الارتقاء في

(فخر الدين المعني الاول، والامير منصور الشهابي، والامير عساف التركماني) . وبذلك سيطر العثمانيين على بلاد الشام .

أعمال سليم الاول الادارية في بلاد الشام

١- ابقى السلطان سليم على النظام الاداري في بلاد الشام الذي كان معمولاً به ايام المماليك حيث كانت مقسمة الى ست (٦) مقاطعات تعرف كل واحدة بالنيابة وهي (حلب، دمشق ، حماة ، طرابلس، صفد ، والكرك)

٢- عين السلطان سليم الاول (جان بردي الغزالي) والياً على دمشق .

٣ – نظم القضاء واهتم به وشدد على الولاة بتنفيذ القضاء.

٤- عين على كل ولاية (دفتر دار) وهو مسؤول المالية .

٥ – كافئ امراء المقاطعات اللبنانية الذين وقفوا معه في الحرب ضد المماليك بأن ثبتهم على مقاطعاتهم التي كانت تعرف بجبل لبنان، وجعل حكمها وراثياً داخل هذه الأسر المحلية . وهم اسرة (أل معن) في منطقة الشوف وسط لبنان والتي عرفت (بأمارة أل معن) والامارة العسافية نسبة الى اميرها (عساف التركماني في شمال جبل لبنان . وآل شهاب في شرق لبنان في منطقة وادي التيم .

ثالثا: السيطرة العثمانية على مصر عام ١٥١٧م :

المناصب في سلّم السلطنة المملوكية، حيث اصبح نائباً لصفد عام ١٥١١م، ثم نائباً لحماة عام ١٥١٢، واستمر بهذا المنصب حتى هزيمة المماليك في موقعة مرج دابق عام ١٥١٦م. ينظر: محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٩، ص١٤٣-١٤٤.

بعد سيطرته على بلاد الشام عام ١٥١٦م ، تحرك السلطان سليم الاول نحو مصر ، وفي المقابل اختار المماليك بعد مقتل السلطان قانصوة الغوري سلطاناً جديداً وهو (طومان باي)[١] الذي اسرع الى مصر ونظم جيشه لملاقاة السلطان سليم وجيشه الذي وصل الى مصر في بداية عام ١٥١٧ م ، وفي منطقة (الريدانية) قرب القاهرة جرت المعركة الحاسمة في كانون الثاني عام (١٥١٧) م بين المماليك بقيادة طومان باي والعثمانيين بقيادة سليم الاول . وفيها انتصر العثمانيون وهرب السلطان المملوكي طومان باي . حتى القي القبض عليه وتم اعدامه في نيسان ١٥١٧م . وبذلك دخل السلطان العثماني سليم الاول القاهرة . وسقطت مصر بيد العثمانيين.

اعمال السلطان سليم الاول الادارية في مصر

١- قام سليم الاول بتقسيم مصر الى (٢٤) مديرية .

٢- قام بتعيين (يونس باشا)[٢] والياً على مصر عام ١٥١٧م وتم عزله في العام ذاته .

٣- عين (خايربك) والياً على مصر بعد يونس باشا عام ١٥١٧م وبقي في منصبه حتى وفاته عام ١٥٢٢م.

---

[١] طومان باي:_ وهو سلطان دولة المماليك حكم عام ١٥١٧ م وقاد الحرب ضد الدولة العثمانية بعد دخول السلطان سليم الاول مصر للسيطرة عليها . وهزم طومان باي في معركة الريدانية قرب القاهرة . وهرب ثم القي القبض عليه وتم اعدامه في نيسان عام ١٥١٧م .

[٢] يونس باشا : وهو اول والي عثماني على مصر في عهد السيطرة العثمانية ، عينه السلطان سليم الاول عام ١٥١٧. وتم عزله في العام نفسه

٤-العفو الشامل عن المماليك وتوزيع الرواتب عليهم . وتعيين بعضهم في المناصب الادارية. وكان عددهم (٤٠) أميراً من المماليك.

٥- تشكيل مجلس اداري في مصر بأسم (ديوان محروسة مصر) وهو مجلس اداري يرأسه الوالي . مهمته مساعدة الوالي

السيطرة العثمانية على الحجاز ١٥١٧م

بعد سقوط دولة المماليك على يد السلطان سليم الاول العثماني عام ١٥١٧ م بعد احتلاله مصر، كان من الطبيعي ان يتبعه سقوط الحجاز التي كانت تابعه للمماليك. وقد اعلن شريف مكة (زين الدين بركات) ولائه للعثمانيين وارسل ابنه (ابو نمي) الى القاهرة لمقابلة السلطان سليم الاول حاملاً معه مفاتيح الكعبة وليقدم له فروض الطاعة والولاء ، وقد قابل السلطان سليم الاول ابو نمي بكل احترام وأعطاءه حكماً فوض فيه والده بأدارة شؤون الحجاز، كما أعلن السلطان سليم الاول نفسه خادماً للحرمين الشريفين وبذلك سيطر العثمانيين على الحجاز بصورة سليمة بدون قتال.

المبحث الثالث: السيطرة العثمانية على البلاد العربية في عهد السلطان سليمان القانوني ١٥٢٠-١٥٦٦

اولاً : السلطان سليمان القانوني وسحق تمرد جان بردي الغزالي في بلاد الشام

غادر السلطان سليم دمشق في ٨ شباط ١٥١٨م، تاركاً فيها الغزالي والياً عليها مع منحه إياها إقطاعاً له حتى وفاته، ولم يفرض عليه دفع أي مال لخزينة الدولة العثمانية، بعد أن آنس فيه الإخلاص والولاء وسمح له بتملك قوات عسكرية خاصة به وقد طبق الغزالي في بداية عهده السياسة العثمانية بحذافيرها، وظل على ولائه التام للسلطان سليم، وسرعان ما قضى على جميع التمردات التي قامت ضد الدولة العثمانية في بلاد الشام.

وبطش الغزالي أيضاً ببعض الأمراء المحليين في نابلس وأخضعهم للسلطة العثمانية . وشن عدة حملات ضد القبائل البدوية في حوران وعجلون، الذين دأبوا دوماً على التعرض لقافلة الحج الشامي عند طريق غزة، وانتصر عليهم وقتل الكثير منهم، وغنم أموالهم، وأعاد ما كانوا قد سلبوه من قافلة الحج وبذلك امتدت ولاية الغزالي من معرّة النعمان إلى العريش بمصر ويُحسب للغزالي أيضاً، تمكنه من هزيمة القراصنة الإفرنج الذين نزلوا ساحل بيروت عام١٥٢٠م.

إن هذه الانتصارات التي حققها الغزالي، أدت إلى إعجاب السلطان سليم به، وسروره منه خاصة فيما يتعلق بحمايته لقافلة الحج الشامي. وأغدق عليه الخلع، فازداد نفوذه في دمشق واكتملت هيبته في كافة أنحاء الولاية الخاضعة لحكمه.

لكن وفاة السلطان سليم في ٢٢ أيلول ١٥٢٠م، أدت إلى استيقاظ الحلم الدفين داخل أعماق جان بردي الغزالي، المتمثل في إقامة دولة مستقلة في الشام تحت قيادته، بعيدة عن السيادة العثمانية، ذلك الحلم الذي راوده يوماً بعد مرج دابق

وفشل في تحقيقه ، وقد فتحت وفاة سليم الباب على مصراعيه لاحتمالات مغرية من جهة وكذلك وخيمة العواقب من جهة أخرى بالنسبة للغزالي.

ويبدو أن الغزالي كان قد بدأ قبل وفاة السلطان سليم في إعادة بعض العادات المملوكية، التي كان العثمانيون قد أبطلوها، مثل دق الطبل في القلعة وعلى أبواب مدينة دمشق، وأعاد الشهود إلى المحاكم كالسابق. واستقطب السكان من حوله، وذلك بمعاقبة الجنود العثمانيين الذين تعرضوا لهم، كما قوّى الدفاع عن دمشق بتحصينه أبواب المدينة، وازدادت علاقته سوءاً بقاضي دمشق الحنفي ولي الدين بن الفرفور المعروف بولائه للسلطات العثمانية، واضطره للهروب إلى حلب.

استضعف الغزالي، السلطان العثماني الجديد سليمان الملقب بالقانوني لصغر سنه، وبدأ يُمنّي نفسه بالتسلطن في الشام. ويبدو أنه قد كشف عما يجول في قلبه من تلك الأماني أمام المقربين إليه، فعارضوه لقلة قواته العسكرية التي يمكن أن تصمد في وجه أي رد فعل عثماني مذكّرين إياه بانتصارات العثمانيين السابقة في مرج دابق والريدانية، وأشاروا عليه بالكتابة لنائب مصر خاير بك، ليساعده فيما نوى القيام به. لكن الغزالي قلّل من شأن الانتصارات العثمانية السابقة فقد ذكر ان السلطان سليمان **(ولد صغير، وليس له قدرة على فعل شيء من ذلك ولا أظنه يتم سنته في المملكة).**

قرر الغزالي بالفعل مراسلة نائب مصر خاير بك ليحثه على الانضمام إليه في تمرده ضد السلطات العثمانية. والواضح أن خاير بك كان من الخُبث والدهاء في رده على ما طلبه منه الغزالي، فاشتراطه للانضمام إلى التمرد مرهون باستيلاء الغزالي على مدينة حلب المهمة والتي تعتبر مفتاح الشام. وخاير بك يبدو أنه كان متأكداً من عدم قدرة الغزالي في الاستيلاء عليها بسب تحصيناتها .

والظاهر، أن خاير بك لم يكن يساوره أدنى شك، أن محاولة زميله الغزالي الانفصالية سوف يكون مصيرها الفشل، لذلك أرسل له موافقته المشروطة للانضمام

إلى تلك المحاولة، بالاستيلاء على حلب. علماً بأنه كان قد نصحه من قبل من مغبة القيام بهذا الأمر –كما أسلفنا الإشارة. ثم نراه يرسل كتاب الغزالي الذي أعلن فيه عزمه عن الانفصال إلى السلطان سليمان.

ويبدو أن الغزالي اغتنم فرصة الخلاف الناشب بين العثمانيين والصفويين، واستعداد الأخيرين على الحدود لمهاجمة الدولة العثمانية بعد وفاة السلطان سليم، فأعلن الثورة على الحكم العثماني وشرع بمحاصرة قلعة دمشق التي كانت تحت سيطرة الانكشارية واحتلها وارتكب مذبحة مروعة بحق الجنود العثمانيين. ومنع خطباء المساجد من ذكر اسم السلطان سليمان على المنابر، وأمر بالدعاء له شخصياً في خطبة الجمعة، ونقش اسمه على النقود المصكوكة في دمشق. واتخذ لنفسه لقباً مملوكياً هو "الملك الأشرف".

وفي محاولة من الغزالي لجمع المؤيدين حوله، أعاد آل الحنش إلى حكم البقاع وولى أحمد بن الحنش مكان الأمير سنان باشا. والتف من حوله في دمشق بقايا المماليك وشبان الحارات من الزُعّر، الذين اغتنموا الفرصة كعادتهم لإبراز قوتهم كما تمكن من الاستيلاء على طرابلس وحمص وحماة وغير ذلك من المدن.

لم يبق في الشام من الحصون القوية أمام جان بردي الغزالي سوى قلعة حلب، فجهز حملة كبيرة من الدروز وبدو جبل نابلس ومن الأكراد وبعض القبائل الأخرى. كما أن فرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس أرسلوا له بعض قطع المدفعية لمساندته، وحشد الغزالي قرابة ٢٣ ألف مقاتل لتلك الحملة وفي٢٥ تشرين ثاني ١٥٢٠م، توجه الغزالي بنفسه من دمشق صوب حلب للاستيلاء عليها. وشرع والي حلب قراجا باشا العثماني الأصل بالاستعداد للدفاع عن مدينته، وأرسل للسلطان سليمان يطلب منه المساعدة. وفرض الغزالي حصاراً حولها استمر لمدة اثني عشر يوماً، وتمكن من إحراز النصر، لكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، على الرغم من أنه قطع القناة التي تدخل الماء إلى المدينة. لكنه اضطر فيما بعد لرفع

الحصار عن حلب بسبب دخول فصل الشتاء القارص وخشيته من وصول إمدادات عثمانية لدعم الحماية العثمانية في حلب، ولفشله في الحصول على دعم كان يتوقعه من نائب مصر خاير بك، وعاد إلى دمشق.

وصل تمرد الغزالي إلى نهايته المحتومة، فقد أرسل السلطان سليمان حملة ضخمة للقضاء على تمرد الغزالي ومع وصول الحشود العثمانية إلى الشام، بدأت أطراف مقاطعات الغزالي بالتفتت، فقد فرّ نوابه من طرابلس وبيروت وغيرهما من المدن. وذلك في الوقت الذي طلب فيه الغزالي من أهالي دمشق مساندته ضد الهجوم العثماني.

وفي ٢٧ كانون ثاني ١٥٢١م، نشبت معركة عند قرية الدوير شرقي قرية برزة بالقرب من دمشق، انتهت بهزيمة قوات الغزالي الذي تنّكر فيما بعد في زي درويش وحاول الهرب، لكنه وقع في الأسر وأعُدم في ٦ شباط من العام نفسه، وأرسلت رأسه إلى استانبول، وأحتل العثمانيون دمشق. وكانت هذه الثورة آخر ثورة قام بها المماليك في بلاد الشام وكانت مدة ولاية الغزالي على الشام ثلاث سنين وسبعة أشهر.

وقد نتج عن فشل حركة الغزالي الانفصالية تلك عدة نتائج أهمها:

١- ألغى العثمانيون الحكم الذاتي في الشام، وتم تقسيمها إلى ثلاث ولايات هي: دمشق وحلب وطرابلس، ووضعت منذ ذلك الحين تحت إدارة الولاة العثمانيين وخضعت لسلطة الباب العالي مباشرة.

٢- أقرّ السلطان سليمان، إياس باشا في نيابة دمشق عوضاً عن الغزالي، وفرهاد (فرحات) باشا في ولاية طرابلس.

٣- ألقى خاير بك نائب مصر القبض على المماليك الذين كانوا عند الغزالي وأمر بقتل بعضهم.

ثانياً: حملة السلطان سليمان القانوني والسيطرة على العراق عام ١٥٣٤م

بعد تولي السلطان سليمان القانوني[١] عرش الدولة العثمانية عام (١٥٢٠)م بعد وفاة ابيه سليم الاول بدأ يخطط للسيطرة على العراق فبدأ خطته، بأستمالة بعض حكام العراق المحليين ومنهم (ذو الفقار بيك) الذي سيطر على العراق واعلن ولائه للعثمانيين، الا ان الدولة الصفوية التي كانت تسيطر على العراق قامت بهجوم على ذو الفقار عام ١٥٣٠م وقتله. وبعد هذه الحادثة بدأ السلطان سليمان القانوني بالتحرك نحو العراق فكون جيش كبير تحرك به عام ١٥٣٤ واتجه نحو بلاد فارس ومنها توجه نحو بغداد، وقبل وصوله بغداد انسحب الجيش الصفوي منها ودخل سليمان القانوني بغداد في نهاية عام ١٥٣٤ دون مقاومة. وخلال وجوده في العراق قسم السلطان العراق الى خمس ولايات هي (الموصل ، بغداد، البصرة ، شهرزور والاحساء) وعين على ولاية بغداد والياً هو (سليمان باشا الطويل) وعلى البصرة الامير (راشد بن مغامس) وعلى الموصل (محمد باشا) ونظم الضرائب .

سليمان باشا الطويل : وهو اول والي عثماني على بغداد تم تعيينه من قبل السلطان سليمان القانوني عام ١٥٣٤ بعد سيطرته على بغداد والعراق .

*الامير راشد بن مغامس: وهو أمير البصرة تم تعيينه عام ١٥٣٤والياً على البصرة من قبل السلطان سليمان القانوني.

---

[١] السلطان سليمان القانوني: وهو سلطان الدولة العثمانية وهو ابن السلطان سليم الاول حكم بين (١٥٢٠ وحتى ١٥٦٦) م وفي عهده تمت السيطرة على العراق عام ١٥٣٤، واليمن عام ١٥٤٧، وليبيا عام ١٥٥١م كما ساعد الجزائريين في حربهم ضد اسبانيا . توفي عام ١٥٦٦.

ثالثاً: السيطرة العثمانية على اليمن (١٥٣٨_ ١٥٤٧)

كانت اليمن تابعة للمماليك وبعد سقوط دولة المماليك على يد السلطان سليم الاول عام ١٥١٧ م في مصر، ارسل حاكم اليمن المملوكي اسكندر الجركسي فروض الطاعة، الا ان حكم العثمانيين على اليمن بقي ضعيفاً بسبب (الصراعات الداخلية بين القادة المماليك من جهة وازدياد قوة ونفوذ (الزيديين في اليمن) . ولأهمية اليمن من حيث الموقع حيث ان السيطرة على اليمن تضمن للعثمانيين السيطرة على البحر الاحمر والبحر العربي ، كما يضمن العثمانيين السيطرة على مكة والمدينة ، ارسل العثمانين في عهد السلطان سليمان القانوني حملة عسكرية كبرى عام ١٥٣٨، بقيادة القائد (سليمان باشا الارناؤطي) مكونة من (٢٠) الف جندي و (٧٤) سفينة، استطاعت الحملة من السيطرة على عدن عام ١٥٣٨ ومن ثم صنعاء عام ١٥٤٧ وبذلك سقطت اليمن بيد العثمانيين.

رابعاً: اوضاع الخليج العربي في القرن السادس عشر، والحملات العسكرية العثمانية

– كان الخليج العربي قد تم احتلاله من قبل البرتغاليين منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي. وبعد سيطرة الدولة العثمانية على البلاد العربية ومنها اليمن والعراق والحجاز اصبحت قريبة من الخليج العربي، فأصبح السلطان سليمان القانوني يخطط للسيطرة على الخليج العربي ، فأرسل الحملات العسكرية من اجل السيطرة عليه وطرد البرتغاليين .

ومن هذه الحملات حملة القائد البحري العثماني (بيري بيك) الذي ارسله السلطان عام ١٥٥١م ، الذي وصل الى مضيق هرمز بثلاثين سفينة، وبعد محاصرته هرمز

والبرتغاليين فشل في النجاح وتراجع وتم اعدامه في اسطنبول. وبعد هذه الحملة ارسل السلطان سليمان القانوني حملة اخرى عام ١٥٥٣م بقيادة (سيدي علي) الذي وصل الى هرمز عام ١٥٥٤م إلا انه فشل ايضاً لقوة البرتغاليين فأضطر الى السير بالسفن نحو الهند وهناك تفرق جيشه وباع السفن ولم يرجع الى اسطنبول وبذلك فشلت الدولة العثمانية في السيطرة على الخليج العربي وطرد البرتغاليين. كانت هناك اسباب عديدة ادت الى سقوط البرتغاليين في الخليج العربي وطردهم نهائياً عام ١٦٩٥: وهي (خضوع البرتغال للسيطرة الاسبانية في الفترة ١٥٨٠-١٦٤٠ ووصول الانكليز والهولنديين الى الخليج العربي، وفي عام ١٦٠٢م، تمكّن شاه عبّاس الأوّل، حاكم فارس وشاه الدولة الصفوية من طرد البرتغاليين من البحرين، كما تمّ الاستيلاء على هرمز عام ١٦٢٢م نتيجة عملية عسكرية إنجليزية – فارسية مشتركة. وكان لنمو قوة عرب عمان وظهور(دولة اليعاربة) في عمان كانت العامل الرئيسي في طرد البرتغاليين، فقد ظهرت وتأسست دولة اليعاربة عام ١٦٢٤م وتولت مسؤولية الصراع ضد البرتغاليين حتى تمكنت من طرد البرتغاليين نهائياً عام ١٦٩٥م .

وتشير المصادر الى عدم نجاح العثمانيين في صراعهم ضد البرتغاليين لأسباب عديدة اهمها (عدم كفاءة القادة البحريين العثمانيين .وقيام القادة العثمانيين بأعمال تعسفية ضد السكان العرب. وعدم جدية الحكومة العثمانية في تحرير الخليج العربي من ايدي البرتغاليين .واخيراً عدم كفاءة الاسطول البحري العثماني) .

خامساً: السيطرة العثمانية على بلدان المغرب العربي:

١- **الجزائر وتونس** : كان المغرب العربي يعاني من التفكك السياسي والاحتلال الاجنبي لاسيما من الاسبان، وقد ظهر في المغرب قادة عرب جزائريين قادو حركة المقاومة ضد الاحتلال الاسباني وهم : (الاخوة – (عروج بن يعقوب) واخيه (خير الدين باربورسا) اللذان كانا يمتلكان اسطولاً بحرياً قوياً . اتصل عروج بن يعقوب بالسلطان سليم الاول الذي ساعده بالسلاح وتمكن عروج عام ١٥١٦ م من تحرير ميناء الجزائر وحاول عروج من اقامة دولة في الجزائر إلا انه فشل بسبب : قيام ملك اسبانيا شارل الخامس بأصدار اوامره الى قياداته في الجزائر بالقضاء على عروج بن يعقوب ودولته واستطاع الاسبان من تشكيل حملة عسكرية تمكنت عام ١٥١٨ من القضاء على عروج بن يعقوب وتشتيت اتباعه. كما انه عدم مساعدته من قبل الدولة العثمانية أدت الى هزيمته .

تولى القيادة بعد اخيه (خير الدين باربورسا) الذي طلب المساعدة من السلطان سليمان القانوني. والذي اشترط عليه بالمقابل تثبيت سيطرة العثمانيين مقابل المساعدة . في عام ١٥٣٥ سيطر خير الدين على تونس الا ان الاسبان تمكنوا من طرده . بعد وفاة خير الدين عام ١٥٤٦ تولى ابنه حسن باشا القيادة والحرب ضد الاسبان نيابة عن السلطان سليمان القانوني . واصبح والياً للجزائر . في عام ١٥٦٠ انتصر العثمانيون على الاسبان في معركة قرب الجزائر وكان من بين الاسرى الاسباني (القائد الكونت سيكالا) الذي اعلن اسلامه واصبح يسمى (سنان باشا) والذي قاد الحرب ضد الاسبان حتى سيطر على تونس عام ١٥٧٤م .

٢- السيطرة العثمانية على ليبيا (طرابلس الغرب) ١٥٥١م

كانت ليبا خاضعة للاحتلال الاسباني منذ عام (١٥١٠ م) ، وقد تم تسليمها من قبل الاسبان الى منظمة مسيحية كاثوليكية هي منظمة القديس يوحنا. وفي عام ١٥٥١م نجح العثمانيون في السيطرة على ليبيا وكان أشهر من تولى حكم ولاية ليبيا (طرابلس الغرب) الوالي العثماني (دارغوث باشا) الذي حكم عام ١٥٥١م واستطاع من توسيع السيطرة العثمانية على الاراضي الليبية.

- بقاء مراكش (المغرب الاقصى) بعيداً عن السيطرة العثمانية وحكمهم المباشر ؟ علل ذلك .

ج / بسبب قوة الدولة السعدية التي كانت تحكم مراكش (المغرب الاقصى) التي حافظت على استقلال المغرب حتى ضد الاسبان وبعدها قرار الحكومة العثمانية بوقف الحملات العسكرية ضد مراكش.

- اتسم تاريخ العثمانيين في المغرب العربي بظاهرة (ضعف السيطرة العثمانية على ولاياته خلال القرنين السابع عشر وحتى التاسع عشر الميلادي؟

ج/ وذلك لسببين هما : ١- لبعد المسافة بين ولايات المغرب ومركز الدولة العثمانية .٢- ضعف القوة البحرية العثمانية .

المبحث الرابع: الحكومة والادارة في الولايات العربية في ظل السيطرة العثمانية

اولاً: شكل الحكومة في الولايات العربية في ظل الدولة العثمانية

بعد سيطرة الدولة العثمانية على الولايات العربية، جعل السلطان العثماني على كل ولاية، والياً يحكمها بأسم السلطان وكان الوالي يلقب بأسم (الباشا) أو امير الامراء وكانت له سلطة واسعة في الولاية وكان معظم الولاة من الاتراك ومن المقربين من السلطان وكانت القاعدة العامة ان تكون مدة ولايته ثلاث سنوات قابلة للتمديد، ويعطى راتبه من اموال الولاية. ويجمع بين يديه السلطتين العسكرية والمدنية. والى جانب الوالي مساعدة او نائبه الذي يلقب بـ(الكتخدا). وهناك ايضاً الدفتر دار وهو المسؤول عن الامور المالية في الولاية والسجلات ويتم تعيينه من قبل السلطان. وهناك الخزنة دار مسؤول الخزنة، والمكتوبجي مسؤول المراسلات والكتب الرسمية للولاية. وايضاً يوجد آغا الانكشارية قائد الجيش في الولاية، والقاضي المسؤول عن القضاء . وهؤلاء من مساعد الوالي الى القاضي يلقبون بأسم (اركان الولاية). وهذه الحكومة في الولايات العربية ماعدا (الحجاز) التي يحكمها (اشراف مكة) نيابة عن السلطان.

ثانياً: الادارة والتقسيمات الادارية في الولايات العربية في عهد الدولة العثمانية

قسمت الدولة العثمانية البلاد العربية الى اثنا عشر ولاية وهي (الموصل ، بغداد ، البصرة ، الحجاز ، اليمن ، دمشق ، حلب ، بيروت، مصر، الجزائر ، تونس ، وطرابلس الغرب او ليبيا) كما قسمت الولاية الواحدة الى اقسام ادارية أصغر فالولاية تقسمت الى ألوية او سناجق وجعلت عليها موظف اداري بأسم (المتصرف) ثم قسمت الالوية الى أقضية وجعلت على كل قضاء موظف اداري

بأسم (القائمقام) ثم قسمت الاقضية الى نواحي وجعلت على كل ناحية(مدير ناحية) والى جانب هذه الولايات استحدثت الدولة العثمانية أربع متصرفيات هي (متصرفية جبل لبنان، والقدس، ودير الزور ، وبنغازي) . وكان تطبيق قانون الولايات العثماني لعام ١٨٦٤ ولائحة تنظيم الولايات لعام ١٨٧١ والتعليمات الخاصة بالجانب الاداري الصادرة من الباب العالي قد حققت ، نوعاً من الامن والاستقرار في ولايات المشرق العربي.

وكان قانون الولايات العثماني قد نص على تشكيل مجالس إدارية في الولايات والالوية والاقضية والنواحي ، كما شكلت مجالس ختيارية في القرى. وكانت تلك المجالس تتشكل من مدير ومعاون له وعدد من الاعضاء يتم تعيين بعضهم من الحكومة العثمانية ، وينتخب الاهالي القسم الآخر، وهؤلاء المنتخبون هم سكان اللواء والقضاء والناحية. وأسهم أعضاء المجالس في تنظيم وادارة الشؤون العامة في الولاية وبالتنسيق مع المسؤول الاداري ، الوالي او المتصرف أو القائمقام أو مدير الناحية. ولهؤلاء ملاك من الموظفين لادارة المؤسسات الحكومية في دوائر البرق والبريد ، والبلدية ، والصحة ، والمعارف ، والقضاء. ومن " دراسة مجالس الادارة يتضح انها كانت تهدف الى تدريب الاهالي على الحكم المحلي واشراكهم في المسؤولية ،وان يكون لاهل المكانة الر أي في إدارة أمورهم على أن تظل للحكومة المركزية اليد العليا في تسيير شؤون الدولة ."وكان قانون البلديات الصادر في السابع والعشرين من رمضان ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م قد منح مجالس الادارة في الولايات العثمانية حق تقسيم المدن الى مناطق حسب مساحتها وعدد سكانها

وكان الجهاز الاداري في مركز الولاية يتكون من الوالي يساعده بموجب القانون مجموعة من الموظفين هم معاون الوالي، والدفتردار الذي يلي الوالي في السلم الوظيفي من حيث الاهمية، وهو مسؤول عن الامور المالية في الولاية، وارتبط

به محاسبو الالوية وكانوا ينفذون اوامره وتعليماته وكان المكتوبجي يشرف على امور تحريرات الولاية وعمل بمعيته قلم تحريرات لاجراء مكاتبات الدائرة الرسمية والمحافظة على اوراقها وقيودها،واشرف المكتوبجي كذلك على مطبعة الولاية ، وقام بعمل هام هو أصدار حولية سنوية للولاية عرفت باسم " السالنامة. " وهناك موظفون آخرون في الولاية هم مدير الامور الاجنبية يكون واسطة للمخابرات بين الوالي والموظفين الاجانب كالقناصل وموظفي القنصليات ، وكان يعين من الباب العالي بترشيح من وزارة الخارجية ومدير المعارف أختصاصه ترأس مجلس معارف الولاية والاشراف والتدقيق بكل الامور الخاصة بالتعليم والمكتبات ويعمل معه عدد من المفتشين والمعاونين ، ومدير الزراعة والتجارة لادارة تجارة الولاية والنظر في امور الزراعة ، ومدير الدفتر الخاقاني واختصاصه تفتيش واجراء احكام القوانين والانظمة والتعليمات التي تتعلق بحق إدارة الاملاك والاراضي والنفوس ، وموظفو الاملاك والنفوس مهمتهم إدارة القيود الاساسية المحلية ، ومدير الاوقاف كان مسؤولاً عن تحصيل اموال الاوقاف وشؤونها ، ومدير النافعة كان مسؤولاً عن تنظيم الطرق والمعابر وبمساعدة مهندسين، و" الاي بك" وهو ضابط يكون تحت امرة الوالي ، مهمته اجراء نظامات عساكر الامن الضابطة

أما الالوية والاقضية والنواحي فكان ينظمها جهاز اداري ، فعلى رأس اللواء المتصرف ويعين بارادة سلطانية ، ويساعده النائب، ومحاسب اللواء، ومدير التحريرات ، ومأمور دفتر خاقاني ، ومأمور نفوس اللواء، أما الجهاز الاداري في القضاء فيتكون من القائمقام على رأس كل قضاء ويساعده مدير مال القضاء ، والموظفون الآخرون تتلخص اعمالهم بادارة جميع المكاتبات والقيود والمحافظة عليها، ويكون مدير الناحية مسؤولاً في ناحيته ووظيفته اعلامية فهو ينشر انظمة وقوانين الدولة ويعلن اوامرها في القرى التابعة لناحيته.

وبذلك نجحت الدولة العثمانية بتطبيقها قانون الولايات في إقامة نظام حكم مركزي اكتمل بناؤه في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، وظهرت آثاره الواضحة في ولايات المشرق العربي ، فقد كان لقانون ونظام الولايات العثماني للعام 1864و١٨٧١ دور في تطور المؤسسات الادارية وإعادة تنظيمها،وبرز ذلك بشكل واضح في عهد السلطان عبد الحميد الثاني إذ أستمرت فيه الاصلاحات في النظام الوظيفي فتشكلت المؤسسات الادارية لاسيما في مجال إدارة الولايات والنظم القضائية وانشئت دوائر جديدة لتنسجم مع التطور الحاصل في الولايات مثل دائرة المعارف، والبرق والبريد، والنافعة ، والاشغال ، والزراعة، والمحاكم، والدوائر العسكرية، واسست لهذه الدوائر ابنية حكومية جديدة كما تأسست دور حديثة لتكون مقراً للوالي ، والمتصرف ، والقائمقام ، ومدير الناحية، والجهاز الاداري لكل ولاية .

المبحث الخامس: اوضاع البلاد العربية في القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين وبروز حكم العوائل المحلية

اولاً: حكم آل معن في لبنان ١٥١٦ – ١٦٩٧

آل معن اسرة عربية سكنت وسط لبنان منذ القرن الثاني عشر الميلادي في منطقة تدعى الشوف ينتسبون الى جدهم الاعلى معن. وبعد قيام الحرب العثمانية – المملوكية عام ١٥١٦، شارك آل معن الى جانب المماليك ثم انحازوا الى جانب السلطان سليم الاول في معركة مرج دابق وبعد انتصار العثمانيون كافأهم السلطان سليم الاول ونصب زعيمهم الامير فخر الدين المعني الاول أميراً على إمارة الشوف في لبنان وكانت تدعى إمارة (الدروز) نسبة الى اغلبية سكانها الذين اعتنقوا المذهب الدرزي [١](حكم فخر الدين المعني الاول عام ١٥١٦– ١٥٤٠م) ثم جاء ابنه الامير قرقماز وحكم بين ١٥٤٠– ١٥٨٥ واشهر حكامهم الامير فخر الدين المعني الثاني الذي حكم بعد وفاة ابيه قرقماز بين (١٥٩٠– ١٦٣٥) وقد سيطر على كل المقاطعات اللبنانية ووصل حكمه الى حدود دمشق وفلسطين وكان يطمح بالاستقلال عن الدولة العثمانية مما دعاه الى الاتصال بالدول الاوربية لاسيما امراء ايطاليا وعقد معهم الاتفاقيات العسكرية وقد حاربته الدولة العثمانية عدة مرات الاولى عام ١٦١٣ وفشلت في القضاء عليه والثانية عام ١٦٢٣ وفشلت ايضاً وآخرها عام

[١] سموا بالدروز نسبة الى الداعي محمد بن عبد الله الدرزي الذي ظهر ايام الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله (٩٩٦–١٠٢١م) والذي كان من اتباع المذهب الاسماعيلي الذي يدعو الى اسماعيل بن الامام الصادق (عليه السلام). فاخذ الدرزي يدعوا الى امامة الحاكم بامر الله واصفاً اياه بصفات الهية. كانت بداية الدعوة في القاهرة الا انه هرب الى المناطق الجنوبية من لبنان نتيجة اضطهاد الفاطميين

١٦٣٤ ونجحت في القضاء عليه عام ١٦٣٥ ، ثم سمحت الحكومة العثمانية لآل معن في الحكم في لبنان حتى وفاة آخر امير لهم من العائلة عام ١٦٩٧. دون ان يترك وريث للحكم.

ثانياً: حكم آل شهاب في لبنان ١٦٩٧- ١٨٤٢

آل شهاب اسرة عربية سكنت لبنان في منطقة وادي التيم شرق لبنان أثناء الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي، وكانوا مسلمين . تولوا حكم إمارة جبل لبنان بعد وفاة آخر أمير من آل معن عام ١٦٩٧ واستمر حكمهم حتى عام ١٨٤١. من اشهر امراؤهم الامير بشير الشهابي الثاني الذي حكم من عام ١٧٨٨ وحتى عام ١٨٤١. وفي عهده تحول آل شهاب الى المسيحية واصبح أمراء لبنان من الطائفة المارونية المسيحية الكاثوليكية (وهم من اتباع رجل دين مسيحي يدعى مار مارون) واصبح التدخل الفرنسي كبيراً في لبنان. قضت على حكمهم الدولة العثمانية عام ١٨٤٢ بمساعدة بريطانيا وروسيا.

ثالثاً: آل العظم في سوريا

اسرة آل العظم : اسرة عربية سورية الاصل تولت حكم سوريا (ولاية دمشق) منذ عام ١٧٢٥ وحتى نهاية القرن الثامن عشر وقد كانت هناك اسباب وعوامل ادت الى وصولهم الى حكم سوريا منها الفوضى والتدهور السياسي في الولاية الذي بدأ عام ١٧٠٩ ولم تستقر الاوضاع فقد جاء الى حكم دمشق ولاة عثمانيين اتسموا بالقسوة والظلم ونهب الناس في سوريا مما جعل الحكومة العثمانية الى عزلهم وتعيين والياً من آل العظم وهو تولهم يدعى (اسماعيل باشا العظم) عام ١٧٢٥ وكان معروفاً بالعدل فأحبه اهالي سوريا فلذلك استمرت اسرته في حكم سوريا (دمشق) حتى نهاية القرن الثامن عشر. وحكم بعده ابنه اسعد باشا العظم وهو من اشهر ولاة آل

العظم حكم بين ١٧٤٣- ١٧٥٥ كانت له اعمال عمرانية كثيرة في دمشق وعمل على تطوير التجارة والصناعة.

رابعاً: عودة حكم المماليك في مصر في القرن الثامن عشر الميلادي

* احوال مصر في القرن الثامن عشر الميلادي

سيطر السلطان سليم الاول على مصر عام ١٥١٧م بعد هزيمته للمماليك ولكن المماليك بقوا في مصر وتم تعيين العديد منهم في المناصب المهمة. وبعد ضعف الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر استعاد المماليك قوتهم، وكان زعيمهم يسمى بـ(شيخ البلد) وقد تمكنوا من السيطرة على الحكم في اواسط القرن الثامن عشر الميلادي. وكان اشهر من حكم مصر من المماليك هم :

أ- **ابراهيم بك حكم من (١٧٤٦_ ١٧٥٧م)** ويعد مؤسساً لنظام المماليك ، وقد استطاع تشكيل قوة من المماليك، وعين العديد منهم في مناصب الدولة ومنهم الاراضي الواسعة، وبعد وفاته عام ١٧٥٧م حدث صراع على السلطة بين الامراء المماليك . استمر حتى عام ١٧٦٣.

ب – علي بك الكبير (حكم من ١٧٦٣- ١٧٧٥م) ، حكم بعد وفاة ابراهيم بك وبعد الصراع على السلطة حيث انتصر علي بك الكبير في هذا الصراع عام ١٧٦٣ واصبح حاكماً على مصر وهو من اشهر وابرز حكام مصر من المماليك في القرن الثامن عشر . وأهم اعماله : ١- اعلن استقلاله عن الدولة العثمانية عام ١٧٦٩، وضرب النقود بأسمه . ٢- في عام ١٧٧٠ م اتخذ لقب (سلطان مصر وخاقان البحرين) .٣- تحالف مع حاكم فلسطين الشيخ ظاهر العمر.٤- ضم بلاد الشام

والحجاز الى سلطة مصر. ٥- سعى لتطوير التجارة عبر مصر. ٦- تقوية الجيش المصري ٧ – عقد معاهدة تجارية مع بريطانيا عام ١٧٧١م.

سقوطه : سقط علي بك الكبير بعد أن اتفقت الحكومة العثمانية مع احد المماليك المقربين اليه المدعو محمد ابو الذهب فقتله عام ١٧٧٥م.

خامساً: آل ظاهر العمر في فلسطين:

ظاهر العمر : شيخ بدوي من فلسطين عمل حاكماً على مدينة صفد وقد استطاع من ضم مدن (طبرية ونابلس ويافا والناصرة) عام ١٧٣٧ وتوسيع حكمه . وفي عام ١٧٥٠ سيطر على عكا وجعلها عاصمة له .وسيطر على صيدا عام ١٧٧٠. ثم تحالف مع شيعة لبنان في جبل عامل. وكان هدفه الاستقلال من الدولة العثمانية، وقد تحالف مع حاكم مصر علي بك الكبير. كما تحالف مع روسيا من اجل محاربة الدولة العثمانية. ونتيجة لخطر ظاهر العمر على الدولة العثمانية عملت الحكومة العثمانية على محاربة ظاهر العمر وكلفت عام ١٧٧٥م، الامير يوسف الشهابي حاكم جبل لبنان لمحاربته ، كما ارسلت القائد العسكري (احمد باشا الجزار) للقضاء على ظاهر العمر الذي استطاع ان يحاصر ظاهر العمر والقضاء عليه عام ١٧٧٥م.

سادساً: الاسرة القرمانلية في ليبيا (طرابلس الغرب)

وهي اسرة حكمت طرابلس الغرب او ليبيا من ١٧١١م وحتى ١٨٣٥م. **الأسرة القرمانلية** هي أسرة تنسب لإقليم قرمان بتركيا وقد حكمت ليبيا لمدة قرن وربع تقريبا حيث قاد أحمد القرمانلي في سنة ١٧١١م ثورة شعبية أطاحت بالوالي. وكان

أحمد هذا ضابطا في الجيش التركي وقرر تخليص البلاد من الحكام الفاسدين ووضع حد للفوضى. ولما كان الشعب الليبي قد ضاق ذرعا بالحكم الصارم المستبد فقد رحب بأحمد القرمانلي الذي تعهد بحكم أفضل، وقد وافق السلطان على تعيينه باشا على ليبيا ومنحه قدرا كبيرا من الحكم الذاتي حكم احمد باشا القرمنلي بين ١٧١١- ١٧٤٥. اشهر حكام هذه الاسرة الوالي يوسف باشا القرمنلي الذي حكم بين ١٧٩٥ – ١٨٣٢ والذي تنازل عن الحكم لابنه علي بك القرمنلي عام ١٨٣٢ الذي تولى الحكم حتى عام ١٨٣٥ ففي هذه السنة قرر السلطان العثماني استرجاع ولاية طرابلس الغرب من سيطرة الاسرة القرامنلية والذي تمكن عام ١٨٣٥ من انهاء حكم هذه الاسرة وعودة السيطرة العثمانية المباشرة الى ليبيا.

سابعاً: الاسرة الحسينية وحكمها في تونس ١٧٠٥- ١٨٨١م :

كانت تونس تابعة للدولة العثمانية منذ عام ١٥٧٤م. وفي عام ١٥٩٠م اعترفت الدولة العثمانية بحكام محليين من تونس اطلقت عليهم (البايات) وفي عام ١٧٠٥م وصل الى حكم تونس الباي (حسين بن علي) وهو مؤسس الاسرة الحسينية التي حكمت تونس من ١٧٠٥م وحتى ١٨٨١م.

يعد حمودة باشا الحسيني أشهر بايات تونس وفترة حكمه الممتدة من عام ١٧٨٢- ١٨١٤م تمثل اهمية كبيرة في تاريخ تونس الحديث. وذلك لأعماله المهمة وهي :- انه اول من جند العرب بدلاً من الاتراك في الجيش. الاستعانة بالعرب في الجيش والمناصب الادارية. استخدام اللغة العربية بدل التركية كلغة رسمية للبلاد. قام بتطوير الجيش وتسليحه بأحدث الاسلحة الاوربية. جلب الخبراء والمهندسين والاطباء للعمل داخل تونس. اصلاح الموانئ وبسط الامن وبناء المصانع. انعاش الاقتصاد عن طريق تطوير الزراعة والعمل على تطوير التجارة وايجاد الاسواق. قام بالعمل على استقلال تونس والحيلولة دون تسلط الدول الاجنبية.

المبحث السادس: الغزو الفرنسي لمصر عام ١٧٨٩م-١٨٠١م

اولاً : اسباب الغزو الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨.

كان للغزو الفرنسي لمصر اسباب عديدة منها الموقع الستراتيجي المهم لمصر الذي يربط بين اوربا واسيا وافريقيا . وفرة خيرات مصر الناحية الاقتصادية. كان للصراع البريطاني- الفرنسي أثر كبير في غزو فرنسا لمصر وذلك لضرب مصالح بريطانيا في المنطقة.جعل مصر قاعدة للانطلاق نحو غزو والسيطرة على المستعمرات البريطانية ومنها الهند. كانت اطماع فرنسا في مصر قديمة ترجع الى ايام الحروب الصليبية منذ القرن الثالث عشر الميلادي. دعوة العديد من الشخصيات السياسية الاوربية بصورة عامة والفرنسية لحكام فرنسا لغزو مصر واحتلالها.

كما دعا الرحالة الفرنسي (فولني) الذي قدم الى مصر عام ١٧٨٧م حكومة فرنسا الى جعل احتلال مصر محوراً لسياستها الخارجية لما تتمتع به مصر من اهمية في مجال المواصلات بين اوربا وافريقيا واسيا ووفرة خيرات مصر وضعف حكام مصر من المماليك.

وكانت لتقارير القنصل الفرنسي في مصر (شارل مكالون) (١٧٩٣- ١٧٩٧م) اثر كبير في جعل حكومة فرنسا تقتنع بغزو مصر وقد ذكر في تقاريره (أن حكام مصر من المماليك يعبثون بمصالح التجار الفرنسيين وإن احتلال فرنسا لمصر يضع حداً لعبثهم بالمصالح الفرنسية. ويتم السيطرة على البحر الاحمر. وتزدهر التجارة الفرنسية.

سير الحملة الفرنسية ١٧٩٨:

ابحرت الحملة الفرنسية من جنوب فرنسا بقيادة نابليون بسرية تامة بعيداً عن انظار الاسطول البريطاني. ووصلت الى الاسكندرية في حزيران ١٧٩٨م. وواصلت سيرها نحو القاهرة . وفي تموز عام ١٧٩٨ جرت مع المماليك معركة سميت بمعركة الاهرامات (امبابة) انتهت بهزيمة المماليك ودخول الجيش الفرنسي القاهرة في ٢١/ تموز/ ١٧٩٨. وقد استطاع نابليون من السيطرة على القاهرة . وبعد هذه المعركة وصل الاسطول البريطاني الى الاسكندرية واستطاع من تحطيم الاسطول الفرنسي في (معركة ابي قير البحرية) عام ١٧٩٨.

***معركة ابي قير البحرية واهم نتائجها:-**

وهي المعركة التي جرت بين الاسطول البريطاني الذي يقوده نلسون وبين الاسطول الفرنسي. حيث استطاع البريطانيون من تحطيم الاسطول الفرنسي عام ١٧٩٨. ومن اهم نتائج المعركة:- انقطعت الصلة بين الجيش الفرنسي في مصر وبين فرنسا الدولة الام. اصبح نابليون يعتمد على موارد مصر الاقتصادية. دخول السلطان العثماني الحرب ضد الفرنسيين. شجعت المصريين على القيام بالثورة.

ثورة القاهرة الاولى اسبابها ونتائجها (عام ١٧٩٨) م

قام المصريون بالثورة ضد الفرنسيين نتيجة عدة أسباب :-

1 - شجعت هزيمة وتدمير الاسطول الفرنسي في معركة ابي قير البحرية المصريين على القيام بالثورة.
2 - الضرائب الباهضة التي فرضها نابليون على المصريين.
3 - السياسة التعسفية التي اتبعها الفرنسيون ضد المصريين.
4 - شجع دخول السلطان العثماني الحرب ضد الفرنسيين بالقيام بالثورة.

5 – سياسة النهب الاقتصادي التي اتبعها الفرنسيين ضد المصريين ونتيجة لهذه الاسباب قامت الثورة نهاية عام ١٧٩٨ إلا ان نابليون قمع الثورة بقسوة بالغة.ومن اهم نتائجها :

1 – شعر نابليون والفرنسيون انهم على أرض ترفض الاحتلال.

2 – تغيير نابليون من سياسته في مصر فتحول الى سياسة اللين تجاه المصريين.

الغزو الفرنسي لسوريا (الحملة الفرنسية على بلاد الشام) ١٧٩٩م:

قام نابليون عام ١٧٩٩ بغزو سوريا نتيجة وصوله اخبار تفيد بتحرك الجيش العثماني نحو بلاد الشام، كما انه اراد احراج موقف البريطانيين في تلك المنطقة لاسيما الاسطول البريطاني في البحر المتوسط. وتحرك نحو بلاد الشام ووصل الى مدن فلسطين واحتلها ثم حاصر عكا لمدة ثلاثة اشهر إلا انه فشل في اقتحام واحتلال عكا نتيجة مقاومة اهلها الباسلة. وحصانة وقوة حصونها المنيعة وانتشار مرض الطاعون بين جنوده وكذلك لمساعدة البريطانيين لهم. مما ادى الى انسحاب نابليون في بلاد الشام.

***خروج الفرنسيين من مصر عام ١٨٠١**

بعد هذه الهزيمة (هزيمة نابليون في بلاد الشام) انسحب وغادر مصر وتركها وعاد الى فرنسا. وترك بدلاً عنه الجنرال (كليبر) إلا ان كليبر واجه ثورة عام ١٧٩٩ من قبل اهالي مصر (سميت بثورة القاهرة الثانية) ومن ثم قتل كليبر على يد (سليمان الحلبي) وهو رجل دين وطالب يدرس في جامع الازهر وهو سوري الاصل. ونتيجة

لذلك بدأت المفاوضات بين العثمانيين والفرنسيين في عام (١٨٠٠)م وتم الاتفاق بحسب اتفاقية سميت بأتفاقية(العريش) التي عقدت عام (١٨٠٠)م على انسحاب الجيش الفرنسي على سفن عثمانية من مصر، إلا ان الاتفاق واجه رفض بريطانيا التي ارادت ان ينحسب الجيش الفرنسي بسفن بريطانية وان يسلم كافة اسلحته وتم عقد صلح بين بريطانيا وفرنسا سُمي (بصلح اميان) عام(١٨٠١م) وبموجبه انسحب الجيش الفرنسي من مصر على سفن بريطانية وتم تسليم اسلحته. وبذلك انتهت الحملة الفرنسية على مصر (١٨٠١) م.

نتائج الغزو الفرنسي على مصر:

- ايقظ الغزو الفرنسي الشعب المصري من سبات عميق قضاه في ظل تخلف المماليك.
- جلب الغزو الفرنسي لمصر اهتمام الدول الاوربية لولاية مصر حيث برزت اهميتها من الناحية الاقتصادية .
- وحد الغزو الفرنسي اهالي البلاد العربية حيث اصبحوا يداً واحدة في مواجهة الاحتلال.
- قام الفرنسيون بجلب العلماء والمؤرخين حيث استطاعوا من كتابة تاريخ مصر وتم وضع كتاب مكون من (٢٦ مجلد) بالنصوص و (١١) مجلد بالصور والخرائط سمي ب (وصف مصر).
- كما قام العلماء الفرنسيون بحل رموز الخط الهيروغليفي المصري القديم.
- برزت الى الوجود فكرة حفر قناة السويس التي تربط البحر المتوسط بالبحر الاحمر.

مصر تحت حكم محمد علي باشا ١٨٠٥- ١٨٤٨

اولاً: بروز محمد علي ووصوله الى حكم مصر عام ١٨٠٥م

محمد علي: ضابط عثماني من جنسية ألبانية ، ارسلته الدولة العثمانية على رأس فرقة عسكرية لقتال الفرنسيين اثناء غزوهم لمصر.

وكانت هناك عوامل ساعدته على الوصول الى حكم مصر عام ١٨٠٥م وهي : وصول خورشيد باشا والياً الى مصر من قبل الدولة العثمانية عام ١٨٠٤م. وقام خورشيد باشا بفرض الضرائب الثقيلة على الشعب المصري مما ادى الى قيام انتفاضة ضده عام ١٨٠٤م، وكان هدف الانتفاضة اسقاط حكم خورشيد باشا ، وعدم فرضه للضرائب. إلا ان خورشيد باشا تعنت في موقفه ورفض شروط الثوار المصريين وقادتهم ونتيجة لذلك عُقد اجتماع في بيت زعيم مصري هو (عمر مكرم) عام ١٨٠٥م ، تم الاتفاق فيه على اختيار الضابط محمد علي والياً على مصر وعزل خورشيد باشا من حكم ولاية مصر. وبذلك بدأ حكم محمد علي الذي دام من (١٨٠٥- ١٨٤٨) م في مصر.

الغزو البريطاني لمصر عام ١٨٠٧م (حملة فريزر على مصر) ١٨٠٧م

بعد فشل بريطانيا في الاستفادة من اوضاع مصر لصالحها ولأهمية مصر بالنسبة لبريطانيا. وعدم مجئ حاكم الى مصر يخدم مصالحها، ارسلت الحكومة البريطانية عام ١٨٠٧ م حملة عسكرية الى مصر لغزوها بقيادة الجنرال فريزر، وبعد وصوله للاسكندرية توحد الشعب المصري مع حاكمهم محمد علي وقاوموا بشدة الغزو مما ادى الى فشل الحملة البريطانية على مصر.

***سيطرة محمد علي على الحجاز ونجد وقضائه على الدولة السعودية الاولى : (١٨١٩م – ١٨٤٠)**

قامت في نجد إمارة آل سعود في القرن الثامن عشرالميلادي وتحالف آل سعود مع عبد الوهاب مؤسس مذهب الوهابية وقاموا بعدة غزوات اتعبت واقلقت السلطات العثمانية وبعد فشل العديد من الولاة من التصدي للوهابية. قرر السلطان العثماني(محمود الثاني) ارسال محمد علي للقضاء على آل سعود وبالفعل تمكن محمد علي من تكوين جيش قوي وضع على رأسه حفيده (عباس باشا) عام ١٨١١ الذي تمكن من دخول الدرعية عاصمة ال سعود عام ١٨١٩ وهزيمة الوهابية. وقد بقي المصريين في الحجاز والجزيرة العربية حتى عام ١٨٤٠م.

***السيطرة المصرية على بلاد الشام ١٨٣١-١٨٤٠**

كانت بلاد الشام مهمة لمحمد علي من ناحية الموقع الستراتيجي لأقامة امبراطورية يحكمها. فطالب بضمها من السلطان العثماني إلا ان العثمانيين رفضوا. فخلق محمد علي الحجج للسيطرة على بلاد الشام ودخل في صراع مع والي صيدا وعكا. وأرسل ابنه ابراهيم باشا للسيطرة على بلاد الشام عام ١٨٣١ وقد تعاون معه امير جبل لبنان بشير الشهابي الثاني وبحلول نهاية عام ١٨٣٢ تمكن ابراهيم باشا من فرض سيطرته على بلاد الشام فأصبح الطريق مفتوحاً امامه الى استانبول لا سيما بعد هزيمة الجيش العثماني الذي كان يقوده الصدر الأعظم رشيد باشا في معركة قونية عام ١٨٣٢ مما اثار الذعر لدى السلطان محمود الثاني، فطلب من الحكومة الروسية في الثاني من شباط عام ١٨٣٣ مساعدته عسكرياً، بعد أن يأس من الحصول على المساعدة البريطانية،عندها تدخلت فرنسا وبريطانيا لحل الازمة

وحرمان الروس من الحصول على موطأ قدم لهم داخل الدولة العثمانية وبتدخل الدول عقد في الرابع من ايار عام ١٨٣٣صلح كوتاهية بين السلطان العثماني ومحمد علي والي مصر.الذي نص على انسحاب القوات المصرية من الاناضول والرجوع الى ما وراء جبال طوروس ، مقابل اعطاء محمد علي ولاية مصر مدى الحياة، فضلاًعن ولايات عكا وطرابلس وحلب ودمشق وجزيرة كريت وان يعيين ابنه ابراهيم باشا والياً على اقليم ادنه وقد عادت الدولة العثمانية عام ١٨٣٩ لمحاربة المصريين في بلاد الشام بعد اعلان محمد علي عن عزمه بإعلان استقلال مصر وبلاد الشام الا ان العثمانيين تعرضوا للهزيمة مرة اخرى امام القوات المصرية في معركة نصيبين عام ١٨٣٩واستمر المصريين في حكم بلاد الشام حتى عام ١٨٤٠ وتم اخراجهم بالقوة نتيجة تعاون البريطانيون مع الدولة العثمانية ومحاربتهم للمصريين. وتم عقد معاهدة لندن عام ١٨٤٠ اذ فرضت بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا فضلاً عن الدولة العثمانية شروط معاهدة لندن التي نصت على جعل ولاية مصر وراثية لمحمد علي واولاده مع حكمه في حياته فقط على الجزء الجنوبي لبلاد الشام وعكا الا أنه في حالة رفضه لهذه الشروط خلال عشرة ايام فسيتم اسقاط حقه في حكم الجزء الجنوبي من بلاد الشام وفي حالة استمرار رفضه لعشرة ايام اخرى فسيتم عزله عن حكم مصر التي بموجبها خرج محمد علي من بلاد الشام وبقي في حكم مصر فقط.

حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في الولايات العربية

حركة الاصلاح العثماني : هي مجموعة من الاعمال والتنظيمات التي قام بها السلاطين العثمانيين من اجل انقاذ الدولة العثمانية بعد الضعف والتدهور الذي اصاب الدولة العثمانية وقد انعكس ذلك التدهور على الولايات العربية.

***الاصلاحات في مصر:**

بدأت الاصلاحات في ولاية مصر في عهد الوالي محمد علي الذي حكم بين (١٨٠٥_١٨٤٨) ويعود الفضل لهذه الاصلاحات لمحمد علي وليس للسلاطين العثمانيين وبدأت في مصر نهضة شاملة في كافة المجالات وهي :-

اولاً: الاصلاحات العسكرية لمحمد علي في مصر :

ادخل الاسلحة الحديثة . وتطبيق نظم التدريب الاوربية الحديثة . جلب البعثات العسكرية الفرنسية الى مصر لتدريب الجبش المصري واشهر الضباط الفرنسيين هو العقيد سيف الذي اصبح رئيس اركان الجيش المصري واصبح يسمى (سليمان باشا الفرنساوي) الذي نظم الجيش المصري على نظام الجيش الفرنسي. تأسيس المصانع لصناعة الاسلحة كالمدافع والبنادق. بناء اسطول بحري عسكري. تأسيس المدارس العسكرية التي تخرج الضباط وكذلك الكليات العسكرية.

ثانياً : الاصلاحات الادارية في مصر في عهد محمد علي :

- اختفاء الاسماء الادارية القديمة واستحداث القاب جديدة كالمديرية والمدير.
- تأسيس مجلس اداري يطلق عليه (المجلس العالي) يتألف من الوزراء وعدد من العلماء والتجار.
- اصدار قانون عُرف بأسم (قانون نامة) اي القانون الاساسي وذلك عام ١٨٣٧ وبموجب هذا القانون لنحصرت السلطة في مصر في سبعة دواوين (وزارات) وهي (ديوان الخديو (الداخلية) ، ديوان البحر (وزارة البحرية)، ديوان المدارس (التربية) ، ديوان التجارة وديوان الصناعة.

ثالثاً : الاصلاحات الاقتصادية:

- تطوير الزراعة ونظام الري وادخال محاصيل جديدة.
- توزيع الاراضي الزراعية على الفلاحين لغرض استثمارها وزراعتها بكافة المحاصيل.
- اما في مجال الصناعة فقد طور الصناعة عن طريق تشجيع الصناعة الوطنية المصرية.
- بناء المصانع الحديثة في مصر.
- جلب المهندسين والعمال الماهرين الاجانب الى مصر لتطوير الصناعة.
- وكذلك اهتم محمد علي بالتجارة وبناء الموانئ لغرض تسهيل التجارة.

رابعاً : اصلاحات محمد علي في المجال الثقافي والتعليمي:

1 – اهتم محمد علي بالتعليم عن طريق انشاء المدارس الحديثة الابتدائية والمدارس العليا كمدارس الهندسة والطب والصيدلة واللغات والزراعة والطب البيطري.

2 – ارسال البعثات الدراسية الى اوربا في مختلف الاختصاصات .

3 – تأسيس المطابع الحديثة لطباعة الكتب والصحف الرسمية.

الاصلاحات في الحجاز والجزيرة العربية

أما في الجزيرة العربية نجد والحجاز فلم يتم تطبيق الاصلاحات العثمانية لعدم وجود سلطة قوية وفعلية للعثمانيين في تلك المناطق فالحجاز بيد اشراف مكة الذين سيطروا على التعليم وجعلوه بيد رجال دين تابعين لهم . ولم يقوموا بأنشاء مدارس رسمية.

رفضوا نجد فقد خضعت لأل سعود الذين تحالفوا مع الحركة الوهابية فلذلك رفضوا كل حركة اصلاحية تأتي من قبل العثمانيين.

اما باقي الولايات العربية فلم تظهر اي حركة للاصلاح إلا في بعض الولايات وهي تونس ، والعراق، وبلاد الشام

*ففي تونس نشير الى محاولتين اصلاحيتين قام بها حكام تونس ولادخل للعثمانيين بها وهي :-

المحاولة الاولى جرت في عهد حاكم تونس المدعو(الباي احمد) الذي حكم بين ١٨٣٧_١٨٥٥ الذي تأثر بأصلاحات محمد علي في مصر .فحاول الباي احمد اصلاح الجيش على نمط الجيش الفرنسي، وقام بترجمة التاريخ الفرنسي الى اللغة العربية ، وقام بتأسيس المدارس لاسيما الهندسة، وقام ببناء المصانع الحديثة.

اما المحاولة الثانية فجرت في عهد رئيس وزراء تونس (خير الدين التونسي) الذي تولى المنصب عام ١٨٧٣م. واصلاحاته هي :

1 - اصلاح شبكة الطرق والمواصلات.
2 - تأسيس المكتبات الحديثة على نمط المكتبات الاوربية.
3 - تحديث نظام التعليم الجامعي وانشاء المدارس .
4 - العمل على توطين القبائل المتنقلة وجعلها مستقرة.
5 - الغاء الضرائب على الاراضي الزراعية.

***الاصلاحات العثمانية وأثرها في العراق:**

كان العراق قبل صدور قانون الولايات العثماني عام ١٨٦٤ مقسماً الى أربع ايالات هي بغداد، والبصرة، والموصل، وشهرزور وعند تطبيق القانون في عهد ولاية مدحت باشا في العراق (١٨٧٢.١٨٦٩) قسم العراق الى ولايتين بغداد، والموصل ، وضمت الاولى سبعة ألوية هي بغداد، والحلة، وكربلاء، والعمارة، والمنتفك، والبصرة، ونجد " الاحساء" وعدد من الاقضية والنواح والقرى. أما ولاية الموصل فضمت ألوية الموصل، وكركوك والسليمانية ، وعدد من الاقضية يرتبط بها مجموعة من النواح والقرى. واستند مدحت باشا الى قانون الولايات العثماني لتنظيم أمور العراق ، فعرفت البلاد في عهده تنظيماً أرتبطت بواسطته انحاء العراق كافة بمراكز ادارية رئيسة هي الولاية التي ترتبط بها مراكز ادارية أدنى هي اللواء، والقضاء، والناحية ثم القرية . فارسى بذلك دعائم الادارة الحديثة في العراق.

وكانت هذه الاجراءات الادارية الجديدة كفيلة بخلق ادارة مركزية منظمة يكون مركزها بغداد وتولى الاشراف على شؤون الولاية. وتقرر بموجب القانون تشكيل مجالس ادارية محلية شبه منتخبة في كل وحدة ادارية، وقد وردت أصول انتخاب المجالس في قانون الولايات لعام ١٨٦٤،أما اختصاصاتها فوردت في نظام إدارة الولايات العمومية لعام ١٨٧١.وكان مجلس الولاية يتألف من الوالي رئيساً وعدد من الاعضاء بعضهم من الاهالي، والبعض الآخر من كبار الموظفين المتنفذين ، واوجدت مثل هذه المجالس ايضاً على مستويات الالوية والاقضية والنواحي والقرى. وكان مدحت باشا بما يملكه من قدرة ادارية فائقة وخبرة متراكمة خلال مدة حكمه في ولايتي نيش عام ١٨٦١ والطونة (الدانوب) عام ١٨٦٤، قد استطلع آراء المتصرفين والقائمقاميين في تقسيم الالوية والاقضية بنواحيها وقراها، والتي روعي فيها الزمن والاوضاع الراهنة آنذاك.

شرع الوالي في اعادة تنظيم المؤسسات الادارية فعين الموظفين من ذوي الكفاية على رأس كل وحدة ادارية، ونظم شؤونها، وطالب الموظفين في دوائر الولاية بذل الجهود لاصلاح الولاية وتطويرها وتحقيق التقدم، وحرص ان يتقاضى جميع موظفي الولاية رواتبهم في مواعيدها المقررة وحاسب المخالفين منهم من المتصرف نزولاً الى أصغر موظف، وطالب السلطة القضائية بتقديم المخالفين منهم الى المحاكمة ، وصدرت فعلاً أحكام بفصل بعض الموظفين ، واستخدم مدحت باشا صلاحياته في عزل بعض اعضاء مجلس ادارة الولاية بعد ثبوت استغلالهم مناصبهم في تحقيق منافع شخصية. والى جانب هذه الاجراءات، في تحسين وتطوير المؤسسات الادارية وتنظيم عمل موظفيها ، استخدم الوالي القوة العسكرية لاخضاع بعض شيوخ العشائر في منطقة الفرات الاوسط ، فقاد الجيش بنفسه وحاصر مدينة الحلة وقتل متصرفها في واقعة سميت " ذبحة المتصرف " أو" واقعة الدغارة. " وجرت تغييرات في التقسيم الاداري للعراق ففي عام ١٨٧٥ أصبحت البصرة ولاية بعد فصل بعض الالوية من ولاية بغداد وضم الاحساء اليها واصبح ناصر باشا أول حاكم للبصرة التي عادت ثانية في العام نفسه لتكون لواءً تابعاً لبغداد، واصبح العراق ولاية واحدة .

وفي عام ١٨٨٤ تغير التقسيم الاداري ليصبح العراق مكوناً من ثلاث ولايات بغداد، والبصرة ، والموصل ، إذ استقطعت بعض الالوية من ولاية بغداد لتشكل منها ولاية البصرة التي أصبحت تضم ألوية البصرة ، والمنتفك ، والعمارة، ونجد ويتبعها عدد من الاقضية والنواحي والقرى، وبقيت ولاية الموصل على سابق عهدها وترتبط بها عدد من الاقضية والنواحي والقرى، في حين تكونت ولاية بغداد من ألوية بغداد، وكربلاء، والديوانية وتلتحق بها مجموعة من الاقضية والنواحي والقرى.

وشهد العراق تطوراً في مؤسساته الادارية في نهاية القرن التاسع عشر واستخدم الموظفون من خريجي المدارس الحديثة في دوائر الولايات وشيدت الابنية الحديثة للدوائر، وأسوة بولايات الشام فقد تأسست في العراق دوائر للبرق والبريد، والمعارف، والبلدية، وغيرها من الدوائر التي كانت ترتبط بالوالي أو المتصرف والقائمقام ومدير الناحية، وظهرت مدن جديدة.

وبرز بعض اصحاب الخبرة والكفاءة الادارية في مؤسسات الولايات. وظهر انتظام في سير المعاملات الادارية وسرعة البت فيها، وأسهم عدد غير قليل من ابناء ولايات المشرق العربي موظفين في الدوائر الحكومية في الولاية، وكان بعضهم من رجال الادارة والاعمال، وكان الموظفون كثيراً ما يقدمون الاقتراحات والتقارير في مختلف الموضوعات، ويتعرضون بالتفصيل لادق الامور اكثر من ذي قبل ، ولاشك ان تقديم وعرض مشروعات الاصلاح كان من أهم السمات التي تميزت بها فئة الموظفين لاسيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وفي اواخر القرن نفسه ظهرت فئة من الموظفين العاملين في مجالس ادارة الولايات والالوية ومجالس البلديات ، وصناديق الاموال وغيرها من التشكيلات المحلية عن طريق منحهم الرتب والنياشين والدرجات الشرفية لنشاطهم الاداري وحسن اداءهم العمل في مؤسسات الدولة العثمانية.

وبرز التخصص في الادارة في الولايات العثمانية وتأسست مؤسسات جديدة اتسمت في تطبيق اساليب حديثة لمتابعة الاعمال مع السرعة في اجراء المكاتبات الجارية بين الالوية ومركز القرار في اسطنبول وحكومة الباب العالي ، وان المكاتبات القادمة من الوحدات الادارية الفرعية في الولايات أو في المركز كان

يصدر القرار بشأنها اسرع ما كان عليه في النصف الاول من القرن التاسع عشر ويصدر المرسوم السلطاني الخاص بها

. وعلى سبيل المثال، كتب مدحت باشا، خلال ولايته في العراق، الى الباب العالي اقتراحاً، بعد تصديق مجلس الولاية العمومي عليه، يطلب فيه تسجيل الاراضي المتروكة والمهملة باسماء الاهالي كي يجعلهم يحافظون على املاكهم ويهتمون باصلاحها وزراعتها والاستقرار فيها، وبناء على الاقتراح رفع مجلس الصدارة العثماني مذكرة الى السلطان عبد العزيز يقترح فيها الموافقة على المذكرة المتضمنة أسس معالجة مشكلة الاراضي الزراعية في العراق، وفعلاً صدر مرسوم سلطاني بالموافقة على الاقتراح، بتنظيم عملية تسجيل الاراضي

واعترفت الدولة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين بفرصة أوسع للغة العربية في الادارة في ولايات المشرق العربي كما استعانت بالعنصر العربي فيها ، وفي الحكومة المركزية والوظائف الرفيعة في حكومة الولايات " السراي". وفضلاً عن اهتمام الدولة العثمانية بتنظيم عمل مؤسساتها الادارية في ولاياتها المتعددة فقد كان للمؤسسات العسكرية نصيباً أكبر من الاهتمام والتحديث ، كونها تشكل الاساس في حركة الاصلاح العثمانية، إذ أن تطوير المؤسسات البحرية والحربية ورفدها بعناصر كفوءة حاصلة على معلومات اكاديمية عسكرية حديثة سيسهم في رفع المقدرة القتالية لافراد القوات العسكرية للدولة العثمانية ومنها بالتأكيد ولايات المشرق العربي ، وتؤدي دورها في الدفاع عن الدولة وحمايتها.

التنظيمات العثمانية في بلاد الشام

كان من نتائج التنظيمات العثمانية أن أخذت الدولة بنظام الحكم المركزي، بعد أن تمكنت من القضاء على النظام الإقطاعي، إلا أنّ الأمر الوحيد الذي يؤخذ على الدولة العثمانية أثناء تطبيقها لهذه التنظيمات أنها غالت كثيرا في المركزية، ولم تطبق التنظيمات في جميع الولايات العربية والعثمانية في درجة واحدة من السرعة والشمول، كما وجدت صعوبة في تطبيقها في بعض الولايات الأخرى، فنجدها طبقت التنظيمات في ولايات الشام سورية وبيروت وحلب ومتصرفية القدس قبل غيرها من الولايات العربية وبسرعة وشمول أكثر، إما تطبيقها في ولايات العراق الثلاث البصرة وبغداد والموصل فقد كان أقل سرعة وشمولًا، إذ لم يكن من السهل تطبيق نظام الحكم المركزي فيها، وكما لم يكن من السهل أن تستجيب عشائر العراق للتشريعات الجديدة العثمانية، ومع ذلك شهد العراق بعض الإصلاح أثناء ولاية مدحت باشا لبغداد ، حيث نظم إدارة الولاية، وأخضع العشائر لسلطة الدولة، وأما تطبيقها في الولايات العربية البعيدة كالحجاز واليمن فقد كان ضئيلا جدا.

أما عن تأثيرها في ولايات الشام، فقد استطاعت الدولة العثمانية أن تنفذ جزءا كبيرا من برنامجها الإصلاحي (التنظيمات) في هذه البلاد، وفي فترة لا تزيد كثيرا عن نصف قرن حققت الدولة العثمانية الكثير من الإنجازات التنظيمية، لا سيما في ولاية سورية وكانت أولى هذه الإنجازات التنظيمات الإدارية، فبالرغم من أن قانون تشكيل الولايات ١٨٦٤م لم يأت بجديد في مجال التقسيم الإداري للولاية، أن تقسيم الولاية إلي ألوية وسناجق، والألوية إلى أقضية، كان معروفا ومعمولا به من قبل أن يصدر هذا القانون، ولكن الجديد في هذا القانون هو أن الدولة العثمانية أعادت النظر بموجبه في التقسيمات الإدارية لولايتها، فضمت ولايات أخرى، وشكلت ولايات جديدة، ونالت بلاد الشام في ظل هذه التنظيمات نصيبا من هذه التغييرات، إذ

اختفت ولاية صيدا وقسمت بلاد الشام إلى ولايتين هما ولاية تضم أجزاء الجزيرة والأناضول.

-الآثار الإدارية

نظمت الدولة جهاز الولاية الإداري، وحددت اختصاصات وصلاحيات موظف فيه اعتبارا من الوالي حتى مختار القرية، كما أنشئت المجالس الإدارية المحلية وحاولت إشراك الشعب في تحمل مسؤولية الحكم.

-تنظيم القضاء

كانت أولى تأثيرات ما سمي بالإصلاح القضائي في الدولة العثمانية هو تدفق القوانين الوضعية إلى داخل الدولة العثمانية، وامتداد تأثيراته إلى الولاية العثمانية العربية لا سيما بلاد الشام حيث تكثر الأقليات المسيحية، إذ صدرت في أعقاب خط شريف كلخانة ١٨٣٩م، وخط همايون ١٨٥٦م، مجموعة من القوانين لتنفيذ توصيات هذين المرسومين، فأدى ذلك إلى حدوث تغيرات كثيرة شملت مختلف مجالات الحياة، إذ أسفر تطبيق النظام القضائي المدني في بلاد الشام إلي سلخ الدعاوى الجزائية من المحاكم الشرعية، وتحويل النظر في القضايا الجنائية والحقوقية إلى محاكم جنائية ومدنية مختلفة يكون الأجانب أطرافا فيها، ويعمل بتلك المحاكم قضاة أتراك وأوروبيون، فأدى الازدواج في المحاكم وفي القانون، إلى نوع من الخلط والاتجاه إلى الغرب والتشريعات العلمانية في بلاد الشام.

-الآثار العسكرية

حظي الجهاز العسكري في عهد التنظيمات باهتمام الدولة وعنايتها، فأنشأت في بلاد الشام الجيش الخامس ومقره دمشق، وكان جيشا حديثا ومنظما، وفرضت على

الأهالي التجنيد الإجباري الذي أعلنته في خط كلخانة، وجاء فيه" :الجندية فريضة على الأهالي وإن أعطاء العساكر لأجل محافظة الوطن هو من الفرائض بذمة الأهالي". وقد أقامت الدولة من أجله المدارس العسكرية، واتبعت في تحصيله أسلوب القرعة، فكان السلطان يبعث بفرمان القرعة في كل عام إلى بلاد الشام، حيث تجري مراسيم خاصة عند قراءاته بحضور الوالي ومشير الجيش الخامس، والقاضي والمفتي، والأعيان والعلماء والوجهاء، ثم يعقد مجلس القرعة ويحضر الأفراد المكلفون الذين بلغوا سن الخدمة العسكرية إلى المجلس، وبعد ذلك تجري القرعة، وقد أشرفت الدولة على تطبيق نظام القرعة في العديد من الولايات، وألوية بلاد الشام مثال لواء مرعش، ونابلس والقدس وغيرها.

-الآثار الاقتصادية

اهتمت الدولة بالناحية الاقتصادية كثيرا، فاعتنت بموارد الولاية ونظمت الضرائب وسنت الأنظمة التي تحصل الضرائب بموجبها، وحدت من سوء استغلال المحصلين والملتزمين للفلاحين، وراقبت ميزانية الولاية، وأشرقت على إدارتها المالية إشرافًا تامًا. أما في مجال الزراعة فقد أصدرت الدولة قانون الأراضي الهمايوني سنة ١٨٥٨م الذي استهدف وضع حد لفوضى المكيلة التي كانت سائدة في العهد العثماني الأول، وكانت محاولة جادة من الدولة للسيطرة على أراضيها، ووضع حد للمتلاعبين بها. كما اهتمت الدولة بتسجيل الأراضي وتوزيع سندات التسجيل "الطابو" على المالكين.

-الآثار التعليمية والثقافية

أما في حقل التعليم فقد طبقت الدولة العثمانية في بلاد الشام قانون التعليم العثماني الصادر في عام ١٨٦٩م والخاص بإصلاح التعليم في جميع مراحله. يوجب هذا

النظام توسعة عملية إنشاء المدارس في بلاد الشام وانتظامها، فأصبح لها نظام تعليمي رسمي يشمل جميع المراحل من الابتدائية إلى الجامعة، يقوم على تدريس اللغة التركية ويعمل على نشرها وتعميمها.

أما فيما يخص المنشآت التعليمية، فقد نشطت إدارة معارف ولاية الشام في بناء المدارس وذلك بفضل إيرادات صندوق المعارف المتنوعة، كالمخصصات الأميرية والإعانة السنوية التي تحصّل من الأهالي، ومخصصات الأوقاف والإعانات المتفرقة والرسوم التي تحصّل من طلبة المدارس السلطانية، ويمكننا تقسيم أنماط التعليم في بلاد الشام في عصر التنظيمات إلى نوعين وهي: المدارس الحكومية والمدارس الخاصة.

-تنظيم الشؤون الطائفية

لما عاد العثمانيون إلى بلاد الشام سنة ١٨٤٠م، تابعوا إقرار المساواة بين الطوائف وفقا لما جاء في خط كلخانة ١٨٣٩م "... ولكي يكون أهل الإسلام وباقي الملل الذين هم من تبعة سلطتنا السنية سائلين مساعداتنا هذه الشاهانية بدون استثناء أعطيت من طرفنا الشاهاني الأمنية الكاملة بمقتضي الحكم الشرعي لجميع أهالي ممالكنا المحروسة على نفوسهم وأعراضهم وناموسهم...".

فكان لذلك أسوأ الأثر في الولايات العربية ولا سيما في بلاد الشام حيث تكثر الأقليات المسيحية، ذلك أن الدولة العثمانية بالرغم من إعلانها مبدأ المساواة بين كافة رعايا الدولة، لم تستطع تطبيق هذا المبدأ تطبيقا كليا، فظلت الوظائف العامة لا سيما العسكرية، والإدارية والقضائية مقتصرة على المسلمين وحدهم، فكان لهذا التمييز صدى قوي في الأوساط الطائفية، إذ أوجد الضغينة في قلوب المسلمين ونفخ في صدور النصارى روح الاعتزاز والتطاول، إذ أخذ المسيحيون ينظرون إلى

التنظيمات على أنها تعطيهم نفس الحقوق التي للمسلمين، بينما أخذ المسلمون ينظرون إلى المسيحيين نظرة الشك ويرون في التنظيمات أنها السبب في تطلع المسيحيين إلى وضع اجتماعي ممتاز عما كانوا عيه من قبل، فكانت النتيجة أن أخل ذلك بالتوازن بين العناصر الطائفية المسيحيين والمسلمين إذ وجدت هذه العناصر نفسها متقابلة وجه لوجه، وزاد في تأثير البغضاء بينهما لجوء بعض الأقليات المسيحية في بلاد الشام إلى الدول الأوروبية لحمايتها وتأييد وضعها شبه المستقل، فانتهت بذلك التنظيمات إلى تعميق الهوة بين المسلمين والمسيحيين، حتى أن المؤرخ الفرنسي ثومان Thominفي كتابة تاريخ بلاد الشام يظهر أن مذابح لبنان سنة ١٨٦٠م ترجع في أسبابها غير المباشرة إلى التنظيمات العثمانية.

الاطماع الاوربية في البلاد العربية خلال القرن التاسع عشر

اولاً: السيطرة البريطانية على الخليج العربي في القرن التاسع عشر

في نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، سيطر اتحاد قبائل القواسم على مضيق هرمز، وهو نقطة العبور إلى الخليج. كان للقواسم أسطول هائل من السفن التجارية والحربية مقره رأس الخيمة والشارقة بالتبادل. وكانت الضرائب هي مصدر الدخل الرئيسي للقواسم، حيث قاموا بفرضها على جميع أنواع التجارة المارَّة عبر مضيق هرمز. رفض البريطانيون دفع هذه الضرائب وبطبيعة الحال تأججت توترات بالغة بين القواسم والبريطانيين. وبعد سلسلة من المواجهات بين الجانبين في ١٨٢٠، حاصرت القوات البريطانية رأس الخيمة ودمَّرت أسطول القواسم بالكامل؛ وبالتالي بدأت الهيمنة البريطانية على المنطقة

بعد انتصارهم الساحق على القواسم، فرض البريطانيون معاهدة لمكافحة القرصنة عُرفت باسم المعاهدة العامة للسلام سنة ١٨٢٠على جميع الحكام العرب في المنطقة. ولتفعيل الاتفاقية وإدارة علاقاتهم مع الحكام المحليين وحماية التجارة البريطانية في الخليج، استحدث البريطانيون منصب الوكيل السياسي في الخليج العربي وبدأ الوكيل السياسي ممارسة مهام منصبه للمرة الأولى من جزيرة قشم، ثم انتقل إلى بوشهر على البر الرئيسي واصبح عام ١٨٢٢ المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي

عقب إبرام المعاهدة البحرية العامة ١٨٢٠، صادَّق الحكام العرب المحليون على عدد من المعاهدات الأخرى التي منحت الهيمنة البريطانية في المنطقة طابعاً رسمياً وقلَّصت من قدرة الحكام على التصرُّف بشكل مستقل دون الموافقة البريطانية. وقد أدى ما كان يُسمى بالسِلم البريطاني إلى زيادة الاستقرار و زيادة حجم التجارة

في المنطقة. وسعت الأُسر الحاكمة للحصول على الحماية البريطانية كوسيلة لتأمين حُكمهم وحماية أقطارهم. وبالتوقيع على معاهدة الهدنة البحرية ١٨٥٣، تنازل الحُكام العرب رسميًا عن حقهم في شن الحروب البحرية في مقابل الحصول على حماية البريطانيين ضد التهديدات الخارجية الموجهة لحُكمهم ومنذ منتصف القرن التاسع عشر وما تلاه، توطدت الهيمنة البريطانية على المنطقة من خلال التواجد العسكري البحري بقيادة "المسؤول البحري البريطاني في الخليج". ولم يتردد المسؤولون البريطانيون في المنطقة تجاه إصدار الأوامرفي بعض الأحيان بتفجير حصون وقصور الحُكام العرب إن لم يُبدوا الحُكام التزامًا كافيًا بالمحافظة على المصالح البريطانية. وقد عمل هؤلاء المسؤولون في شبكة من الوكالات السياسية تواجدت في أوقات مختلفة في لنجة والبحرين والكويت والشارقة ومسقط والدوحة ودبي وأبوظبي وجوادر والجيب العماني الموجود اليوم في دولة باكستان.

ثانياً :الاحتلال الفرنسي للجزائر(١٨٣٠) م

كانت لفرنسا اطماع قديمة في السيطرة على الجزائر، وكان لأحتلال الجزائر عوامل واسباب عديدة هي :

1 – الموقع الجغرافي المهم للجزائر الذي يهيئ لفرنسا السيطرة على البحر المتوسط.

2 – خيرات الجزائر الوفيرة.

3 – محاولة فرنسا السيطرة على الكثير من البلدان وجعلها مستعمرات وأسواق لتصريف البضائع.

4 – بحث فرنسا عن نصر خارجي بعد عدد من الهزائم المتكررة في اوربا.

وقد اخذت فرنسا تبحث عن ذرائع وحجج لاحتلال الجزائر، وقد وجدت الحكومة الفرنسية في (حادثة المروحة) الذريعة لاحتلال الجزائر ومفاد الحادثة ان الجزائر كانت تطلب فرنسا اموال بعد ان اشترت فرنسا من الجزائر (القمح) ولم تدفع فرنسا تلك الاموال. وفي يوم ٢٩/نيسان/ ١٨٢٧، حدثت مشادة كلامية بين حاكم الجزائر (الداي حسين) والقنصل الفرنسي (بيير دافال) في قصر حاكم الجزائر الذي طالب بالاموال. وكانت بيد الحاكم مروحة فأشار بتلك المروحة نحو القنصل طالباً منه الخروج من القصر. وقد مست المروحة وجه القنصل فأعتبرها اهانة له. ووصلت اخبار الحادثة الى الحكومة الفرنسية التي اعتبرتها اهانة لفرنسا وقررت غزو الجزائر.

بدأ الغزو بعد تلك الحادثة فضربت فرنسا الحصار البحري على الجزائر عام ١٨٢٧ واستمر لثلاث سنوات . ثم تحركت الجيوش الفرنسية في حزيران عام ١٨٣٠ نحو مدينة الجزائر وكانت بقيادة (وزير الحربية الفرنسي الجنرال بورمون) وفي منطقة (سيدي فرج) جرت معركة بين القوات الفرنسية والقوات الجزائرية انتهت بهزيمة الجزائريين نتيجة عدم التكافؤ بين الطرفين، وبعد تلك المعركة استسلم حاكم الجزائر ووقع على وثيقة الاستسلام في ٤ / تموز / ١٨٣٠ والتي نصت :-

1 - تسليم مدينة الجزائر للفرنسيين .
2 - تعهد القائد الفرنسي بترك الاموال الخاصة بالحاكم الجزائري وذهاب الحاكم لأي منطقة.
3 - حماية الحاكم الجزائري والقادة.
4 - حرية الجزائريين في ممارسة طقوسهم الدينية.

وقد مرت حركة المقاومة العربية الجزائرية للاحتلال الفرنسي بمرحلتين وهي :

١- المرحلة المبكرة وهي المرحلة الواقعة بين سنتي ١٨٣٠ و١٨٣٢ وتتميز هذه المرحلة بمحاولة السلطات الفرنسية المحتلة بالبحث عن رؤساء قبائل جزائريين يعترفون بالاحتلال الفرنسي لكنها فشلت وواجهت مقاومة شديدة ومحاولة الجزائريين وطرد المحتلين.

٢- المرحلة الثانية وهي المرحلة التي برزت فيها شخصية الامير عبد القادر الجزائري الذي قاد حركة المقاومة ضد الفرنسيين عام ١٨٣٢ بعد أن بايعته القبائل الجزائرية واهمها قبائل بني هاشم وقد استطاع من تحرير ثلثي اراضي الجزائر حتى عام ١٨٣٩. إلا ان القوات الفرنسية استمرت في محاربته حتى استسلامه عام ١٨٤٧.

إلا ان الجزائريين استمروا في مقاومة الاحتلال.

ثالثاً: **الاحتلال الفرنسي لتونس عام ١٨٨١**

اخذت فرنسا بعد احتلالها الجزائر تسعى لأحتلال تونس، وقد إتخذوا من انتقال بعض القبائل العربية التونسية عبر الحدود الجزائرية ذريعة للغزو بحجة مساعدتها للثوار الجزائريين. وفي ٢٤/ نيسان / ١٨٨١ بدأت القوات الفرنسية بقيادة القائد الفرنسي (فورجيمول) بغزو تونس وقد واجهت مقاومة شديدة، الا ان القوات الفرنسية تمكنت من احتلال تونس وعقدت مع حاكم تونس (الباي محمد الصادق) معاهدة عرفت بأسم (معاهدة باردو) في ١٢/ ايار/ ١٨٨١ونصت على : (ان الاحتلال الفرنسي لتونس مؤقت. تتركز القوات الفرنسية في مناطق السواحل والحدود. لا يحق لحاكم تونس (الباي محمد الصادق) عقد معاهدة مع اي دولة اخرى. عدم مساعدة الجزائريين في مقاومة الاحتلال الفرنسي. تتعهد فرنسا بحماية حاكم تونس).

- شهدت تونس مقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، وبالمقابل تمكنت القوات الفرنسية من التقدم لأحتلال العديد من مدن تونس. واستطاعت فرنسا من فرض معاهدة جديدة على حاكم تونس الجديد (الباي علي الثالث) حكم بين (١٨٨٢-١٩٠٢). وسميت المعاهدة ب (معاهدة المرسى) وبموجب هذه المعاهدة التي عقدت عام ١٨٨٣ او التي نصت على : (وضع مقدرات تونس الاقتصادية بيد الاحتلال الفرنسي. فرض الحماية الفرنسية على تونس. حصول فرنسا على صلاحيات واسعة في السيطرة على القضاء والجانب الاداري والشؤون الداخلية.)

رابعاً : **الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢:**

*اوضاع مصر قبل الاحتلال البريطاني

حكم مصر بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر عام ١١٨٠١(سلالة محمد علي واولاده واحفاده) الذي بدأ حكمهم عام ١٨٠٥ واولهم (محمد علي حكم بين ١٨٠٥-١٨٤٨.

٢- ابراهيم باشا بن محمد علي ١٨٤٨-١٨٤٨ (حكم سنة واحدة)

٣- عباس حلمي الاول حكم مصر (١٨٤٨- ١٨٥٤)

٤- محمد سعيد باشا (١٨٥٤- ١٨٦٣)

٥- اسماعيل باشا (١٨٦٣- ١٨٧٩)

٦- توفيق باشا (١٨٧٩- ١٨٩٢)

*وفي عهد توفيق باشا وبالتحديد سنة ١٨٨٢م انتهزت بريطانيا فرصة أحداث الثورة العرابية واحتلت مصر عسكريا وكان لأحتلال بريطانيا لمصر اسباب عديدة منها

1 - الموقع الستراتيجي المهم لمصر بالنسبة للمواصلات وكذلك التجارة.

2 - محاولة بريطانيا السيطرة على قناة السويس التي تم افتتاحها عام ١٨٦٩، والتي كانت لها اهمية كبيرة للتجارة البريطانية.

أما السبب المباشر والذريعة التي اتخذتها بريطانيا لغزو مصر هو (قيام ثورة في مصر عام ١٨٧٩ بقيادة احد ابرز الضباط العسكريين المصريين المدعو (احمد عرابي) الذي هدف من تلك الثورة ايقاف التدخل الاجنبي في مصر ومعالجة سوء الاوضاع الاقتصادية وعدم فرض الضرائب. وقامت الثورة ضد حاكم مصر الخديوي اسماعيل. وفي عام ١٨٨١اصبح احمد عرابي وزيراً للحربية والبحرية واصبح صاحب الكلمة الاولى في مصر. ولم يتمكن الخديوي توفيق حاكم مصر الجديد (١٨٧٩-١٨٩٢) من الوقوف بوجهه. وقد استاءت بريطانيا من احمد عرابي وعرضت على حاكم مصر مساعدته للوقوف بوجه احمد عرابي . الذي وافق فوراً فتحركت القوات البريطانية وقدمت انذاراً عام ١٨٨٢ الى احمد عرابي بالاستسلام ونفيه الى خارج مصر. قامت القوات البريطانية بعد رفض احمد عرابي بشروط البريطانيين بقصف ميناء الاسكندرية . وجرت في ١٣/ ايلول/ ١٨٨٢ معركة (التل الكبير) بين القوات البريطانية والقوات المصرية بقيادة احمد عرابي ونتيجة لعدم وجود التكافؤ بين الطرفين انهزمت القوات المصرية. وتم أسر احمد عرابي واصحابه من الضباط. وتم نفيه خارج مصر مدى الحياة. وقامت القوات البريطانية بالابقاء على حاكم مصر (الخديوي توفيق). وقامت بتسريح الجيش المصري. وتكوين جيش جديد يقوده ضباط بريطانيين.

الاحتلال الايطالي لـ (ليبيا) عام ١٩١١:

أخذت ايطاليا بعد أن اصبحت دولة متقدمة صناعياً تطمح ان تكون لها مستعمرات وقد وجهت انظارها نحو ليبيا لأسباب عديدة هي :-

1 - محاولة ايطاليا التخلص من بعض مشاكلها الداخلية ومنها مشكلة تزايد السكان ولها بعض المشاكل الاقتصادية.

2 - محاولة ايطاليا التخلص من بعض مشاكلها الداخلية ومنها مشكلة تزايد السكان ولها بعض المشاكل الاقتصادية.

3 - محاولة ايطاليا ان تعيد امجاد الماضي حيث كانت الامبراطورية الرومانية.

4 - ارادت ايطاليا ان تكون كباقي الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا.

*وفي ٢٧/ايلول/١٩١١ ارسلت الحكومة الايطالية انذاراً الى الحكومة العثمانية جاء فيه (ان العثمانيين يعرقلون مصالح ايطاليا الاقتصادية في ليبيا ويضطهدون الرعايا الايطاليين في ليبيا وان العثمانيين غير قادرين على توطيد الامن في ليبيا)

- وبعد رد الحكومة العثمانية على هذا الانذار والذي لم تقتنع به الحكومة الايطالية اعلنت الحكومة الايطالية الحرب وارسلت اسطولها الحربي لأحتلال طرابلس الليبية وتم احتلالها في تشرين الاول عام ١٩١١.

النهضة العربية أواخر القرن التاسع عشر وظهور الجمعيات والاحزاب العربية:

بدأت البلاد العربية بمحاولات النهضة لاسيما في المجال السياسي في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نتيجة عوامل عديدة اهمها :

1 - الغزو الاستعماري الاوربي للبلاد العربية.
2 - التطور في المجال الاقتصادي والاجتماعي.
3 - ظهور الطبقة البرجوازية المثقفة التي نادت بالأصلاح السياسي.
4 - ظهور اتجاهات اصلاحية سواء دينية او قومية.

*اتجاهات حركة النهضة العربية الحديثة:

١- الاتجاه الديني الاصلاحي :ويدعو الى نهضة اسلامية وابرز من مثله (جمال الدين الافغاني، ومحمد عبده ، ومحمد رشيد رضا).

٢- الاتجاه الديني –القومي : ويدعو الى الرابطة الاسلامية والخلافة العربية وابرز من يمثله (عبد الرحمن الكواكبي) السوري الاصل.

٣- الاتجاه القومي التاريخي : ويدعو الى تذكير العرب بماضيهم وحضارتهم المجيدة . وابرز من يمثله (بطرس البستاني) اللبناني الاصل.

الجمعيات والاحزاب العربية السرية والعلنية:

اولاً : الاحزاب والجمعيات التي ظهرت أواخر القرن التاسع عشر

١- **جمعية بيروت السرية:** وتأسست في بيروت عام ١٨٧٦ وتعتبر اول جهد سياسي عربي وكان يهدف الى الثورة على مساوئ الحكم العثماني ومن

ابرز مؤسسيها فارس نمر وشاهين مكاريوس. وقد انتهت الجمعية بسبب ملاحقة الحكومة العثماني للسياسين العرب وهجرة اعضائها الى القاهرة عام ١٨٨٥.

٢- **الجمعية العلمية السورية:** تأسست في سوريا عام ١٨٥٩ وهي جمعية ثقافية تدعو الى العلم ونبذ الجهل.

٣- **حركة وجهاء سوريا:** تأسست في سوريا عام ١٨٧٧ واصبح لها فروع في دمشق وحلب وبيروت. واسسها عدد من زعماء ووجهاء سوريا.وتدعو الى الوقوف بوجه الاستعمار الاجنبي وأي احتلال .

٤- **حلقة دمشق الصغيرة:** تأسست عام ١٩٠٣ في دمشق وكانت نشأتها كجمعية ثقافية واما في تطورها السياسي فأخذت تطالب العثمانيين بحقوق العرب المشروعة عبر منهاج سياسي.

الاحزاب والجمعيات العربية التي ظهرت في بداية القرن العشرين

شهدت بداية القرن العشرين تغييرات سياسية في الدولة العثمانية فقد قادت جمعية الاتحاد والترقي التركية انقلاباً على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦- ١٩٠٩) وذلك عام ١٩٠٨م وتم اعلان الدستور مع استلام الجمعية دفة السلطة في الامبراطورية العثمانية، وقد استبشر العرب خيراً بالانقلاب فكانت اولى البوادر هو تأسيس جمعيات تدعوا الى الاخوة بين العرب والاتراك ومن اهمها (جمعية الآخاء العربي – العثماني) التي تأسست في اسطنبول عام ١٩٠٨ وتدعو الى الوحدة العربية – العثمانية تحت لواء السلطان العثماني. والمحافظة على الدستور العثماني وتحسين اوضاع الولايات العربية . الا ان الاتحاديين وبعد خلع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ وسيطرتهم على الحكم بقوة نقضوا كل وعودهم للعرب واغلقوا كل الاحزاب والجمعيات ومنها جمعية الاخاء العربي العثماني

٢- المنتدى الادبي: تأسس في اسطنبول عام ١٩٠٩ وهي جمعية ثقافية.اسسها المثقفون العرب في اسطنبول.

٣- حزب اللامركزية الادارية العثماني: تأسس في القاهرة عام ١٩١٢ ويدعو الى تطوير اسلوب الحكم في الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية على اساس اللامركزية الادارية. اي اعطائها استقلالاً ذاتياً في الحكم .

٤- **جمعية بيروت الاصلاحية:** تأسست في بيروت عام ١٩١٢ كانت تدعو الى الاصلاح في البلاد العربية .

٥- **جمعية العهد العسكرية:** أسسها الضابط المصري(عزيز علي المصري) في القاهرة عام ١٩١٣وهي من الاهمية لأنها اول جمعية ضمت العناصر العسكرية العربية في مشروع سياسي وحزب عربي، وسميت بالعهد لأن الانتماء اليها يعتبر عهد بين العضو وبين الله تعالى على خدمة القضية العربية.

المؤتمر العربي الاول في باريس عام ١٩١٣

عقد المؤتمر العربي الاول في مدينة باريس في شهر حزيران من عام ١٩١٣ بدعوة من الاحزاب والجمعيات السياسية العربية ومجموعة من الطلبة والمثقفين العرب وذلك من اجل هدفين رئيسيين هما: أ- تحديد الموقف العربي تجاه سياسة الحكومة العثمانية (حكومة جمعية الاتحاد والترقي) ب- اطلاع الرأي العام العالمي والاوربي بالخصوص على القضية العربية.

اشرف على المؤتمر حزب اللامركزية الادارية العثماني وحضره العديد من ممثلي الاحزاب والجمعيات السياسية العربية وترأسه عبد الحميد الزهراوي انتهى المؤتمر بمجموعة من القرارات التي طالب بالإصلاح وبالحكم الذاتي وباعتبار اللغة العربية لغة رسمية وغيرها، يمكن تلخيصها كما يلي :

١. إن على الدولة العثمانية إجراء إصلاحات حقيقية وبسرعة.
٢. على الدولة العثمانية أن تسمح للعرب بالمشاركة بالحكم فعليا وعليها أن تضمن لهم التمتع بحقوقهم السياسية.
٣. على الدولة العثمانية أن تسمح بتكوين حكم ذاتي في الولايات العربية.
٤. يجب اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في مجلس النواب العثماني إلى جانب التركية وأيضا اعتبارها اللغة الرسمية في الولايات العربية.
٥. في الولايات العربية يجب أن تكون الخدمة العسكرية محلية إلا في حالة الضرورة القصوى.

اما موقف الحكومة العثمانية من المؤتمر فقد اضطرّ الاتحاديّون في بادئ الأمر إلى أن يرسلوا "رسولاً لمقابلة المؤتمرين العرب ودعوة قادتهم إلى العاصمة استانبول، فرحل عبد الحميد الزّهراوي رئيس المؤتمر إلى هناك لمفاوضة الحكومة التّركيّة، وتنفيذ وعودها بتحقيق المطالب الإصلاحيّة، واستمرت المفاوضات حتّى أواخر سنة ١٩١٣م. وكان بين الأمور الّتي تمّت تعيين عبد الحميد الزّهراوي وعدد من رجالات العرب في مجلس الأعيان العثمّاني ليشرفوا على تطبيق الإصلاحات الّتي وعدت الحكومة التّركيّة بتنفيذها لكن فيما بعد أخلفت الحكومة التّركيّة بوعودها، وقامت بإصدار أحكام بالإعدام بحقّ معظم الّذين شاركوا في المؤتمر وسُمّي هذا المؤتمر لاحقاً بمؤتمر الشّهداء، وذلك لأنّ معظم المشاركين فيه أُعدموا أو لُوحقوا من قبل السّلطات التّركيّة.